عمل الانسان في ميزان الاسلام

بقلم

يـوسف عبد الغني كيـوان

شيخ مسجد "السلاب " (شربين)

تقديم

أ. د/ حلمي السيد أبو حسن

الأستاذ بجامعة الأزهر

بطاقة الفهرسة

اسم الكتـــاب :	عمل الإنسان في ميزان الإسلام
المؤلـــــــف :	يوسف عبد الغني كيوان
الطبعـــــــة :	طبعة أولى / 1432هـ - 2011 م
الناشـــــــر :	مكتبة جزيرة الورد
رقم الإيـــداع :	

مكتبـــة جزيرة الورد - القاهـــرة / ميدان حليـــم
خلف بنك فيصل شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا
012/9961635 - 02/27877574
010/0004046 - 010/0104115

قال تعالى:

{وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾}

[الذاريات: ٥٥ – ٥٦]

* * *

إهـــداء

إلى زهرتي العزيزة

قـرة العيـن

" حفصة "

التي من الله عليَّ بها مع الانتهاء من هذا العمل راجياً الله لها المستقبل الزاهـر - إن شـاء الله تعـالى - فـي ظـل التمسـك بأهـداب الفضـيلة، والأخلاق الإسلامية النبيلة.

إهداء

إلى كل أخ مسلم ومسلمة حتى يتحول عمله من مجرد عادة ويحصل بـه علي ثواب العبادة.

وبالله التوفيق

المؤلـف

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ للدكتور/ حلمي أبو حسن

الحمد لله، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: -

فكتاب : " **القول المبين في تاريخ الكعبة ومسجد خاتم النبيين** " للشيخ يوسف عبد الغني كيوان لقي قبولاً واستحساناً من القراء لما فيه من معلومات طيبة، أسأل الله أن ينفع به.

واليوم وفي رحاب الأيام الطيبة التي يصب الله فيها الخير علي عباده صبًّا يخرج هذا الكتاب الذي يشتمل علي شعب الإيمان ومكارم الأخلاق التي يرفع الله بها العباد إلى أعظم الدرجات، فقد بلغ العبد بحسن الخلق درجة الصديقين. وكما قال صلى الله عليه وسلم :

{إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق}، وفي رواية:{صالح الأخلاق} رواه أحمد في المسند 2/ 381.

وما أحوج المسلمين في هذا الزمان إلى التذكير بما في هذا الكتاب ليصلح حال المجتمع، وليعم الخير وتستريح النفوس. فهو جانب لا يعني بالمظهر وإنما يعني بالجوهر، فالدين المعاملة، والمسلم بحاجة إلى عرض أعماله علي ميزان الإسلام ليميز الخبيث من الطيب، فمرحبا بهذا الكتاب في عداد أسلحة الدعوة إلى الله تعالى أعني:

" عمل الإنسان في ميزان الإسلام " أسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يجزي مؤلفه خير الجزاء إنه سميع النداء مجيب الدعاء.

24 ربيع الأول 1431هـ

10 مارس 2010 م - أ. د / حلمي السيد أبو حسن

الأستاذ بجامعة الأزهر

ورئيس قسم أصول اللغة

بكلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي خلق فسوى، قدر فهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله المتفرد بالوحدانية، المتفضل على عباده بكثير من النعم وهو الغنى عن عبادتهم وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله أعبد الخلق إلى الله ورضى الله عن صحابته الأبرار.

وبعد،

من القضايا العظام التي شغلت علماء الكلام قضية (أفعال العباد) فقد كثر الحديث في هذه القضية ما بين أخذ ورد وتضارب في الأقوال، ولكن لابد وأن نعلم أن الإنسان له عمل باتفاق، وهذا الذي ورد به الكتاب والسنة المطهرة، فلنعتقد أن للإنسان عملاً يُمدح عليه ويُذم ويعاقب مادام مختاراً وكل شئ يقوله الإنسان محسوب له أو عليه، بل وكل خلق يتخلق به الإنسان أيضاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمل الإنسان فيكون صورة واقعية بين الناس، ومن هنا كانت فكرة هذا الكتاب:

(عمل الإنسان في ميزان الإسلام) وقد اشتمل على فصلين:

الفصل الأول: (مختارات تعبدية)، فالكون وما فيه من تسخير الله للإنسان ومصاحبة المؤمنين والخوف من الله والتسبيح، والحفاظ على نعم الله إلى غير ذلك من الأمور التي يتعبد بها الإنسان لربه ويعمل من أجلها، وعمله هذا منبعث من عقيدة أن هناك إلهًا وأن هناك يومًا آخر فيه ثواب وعقاب وحساب وصراط وصولاً إلى جنة أو نار، فأصبح من السهل ومن اليسير

لكل إنسان مسلم أن يتعبد بأمور حياته لله رب العالمين، وستوزن هذه الأعمال: فإما أن تكون له وإما أن تكون عليه.

ثم جاء الفصل الثاني مشتملاً على (أخلاقيات إسلامية)، هذه الأخلاقيات التي تمثلت وتجسدت في شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حينما أخبر:{إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق} (1) وقد جاء ثناء الله على رسوله بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [القلم: ٤]، وقالت عنه زوجه عائشة " كان خلقه القرآن، كان قرآناً يمشى على الأرض " وبسمو الإنسان بأخلاقه وبترفعه عن نزواته وشهواته يكون بذلك قد تعبد لله رب العالمين وأصبحت أخلاقه يعمل به بين الناس من صدق وشجاعة وعدل وكرم وصبر إلى آخر هذه الأخلاقيات - مما يكون له الأثر الواقعي والإيجابي بين الناس فيتبوأ منزلة في الآخرة بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:{أقربكم مني مجلساً يوم القيامة مكارمكم أخلاقاً} (2) بذلك تصير المباحات طاعات وعبادات يؤجر عليها الإنسان من رب الأرض والسماء.

وجملةً، فالكون وما فيه وما يحتويه وما سخره الله للإنسان، وكل خُلق حث عليه الشرع الحكيم هي في مجموعها تنبئ عن كثرة التذكرة لدى الناس استنباطاً من قوله تعالى:{ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾} [الذاريات: ٥٥ - ٥٧].

وقد وعد الله بصلاح الحال والمآل لمن حسن عمله حيث قال:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم

(1) رواه الإمام مالك في الموطأ.
(2) رواه أصحاب السنن.

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} [النحل: ٩٧].

والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر بقوله:{اعملوا فكل ميسر لما خلق له}.

فها هي ألوان وأشكال طرق التذكرة... ولكن أين المنفعة؟

أما آن لنا أن نفيق ونعود إلى رشدنا ونتوب إلى رب كريم.

وصدق الله حيث قال:{ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾} [فصلت: ٤٦].

فهذه باقة من النجوم... كانت متناثرة هنا وهناك... في سماوات شتي... ولما كان ضوؤها خافتاً لبعد المسافة فيما بينها... آثرت أن أجمعها في سماء واحدة لتكون أشد ضوءًا... وأسطع نورًا وها هي مجتمعة في سماء واحدة يقوي بعضها ويكمل بعضها الآخر في عقد هذا الكتاب... الذي هو بين يديك... فلعلها تهدي من التمس الطريق في هداها... وترشد من أراد السلامة... في حماها إن هذا العقد كان متناثر الخرزات... وكانت كل خرزة من خرزاته علي حدة... حتى رأيت أن أضم هذه إلى تلك... وهؤلاء الي أولئك... لتكتمل الفائدة... ويتم المعني... وتتضح الصورة:{إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]، وإني أرجو من الله أن يجعل في كل خرزة من خرزات هذا العقد المنظوم... بركة من بركاته علينا ونورا مباركا لنا، ولا يبقى إلا أن تلقي نجوم هذا العمل القبول والاستحسان... من رب الجنان... لعلنا ننال منها بعضًا من النفحات أو شذرًا من البركات أو قطفاً من الرحمات... فينفع الله بها ما يشاء من عباده، فغاية ما أبغي أن تظل هذه الكلمات نجوما يُهتدي بها فتهدي السالكين إلى طريق الرشاد وأن يستظل بها من أهل الخير الكثير من المؤمنين التائبين،

كما أطمع منه في عليائه جل في علاه أن يظل قبس هذه النجوم ممتداً علي مر العصور... جيلاً بعد جيل وعلي الله قصد السبيل.

وصلى الله وسلم على معلم الناس الخير، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه
أبـو حفص
يوسف عبد الغنى كيوان
محلة إنجاق - شربيـن - دقهليـة
للتواصل: م/ **0105849228**
بريـد إليكترونـى
youssefkiwan@yahoo.com

* * *

تمهيـــد

مما لاشك فيه أن رحمة الله أوسع من كل شئ، إلا أن العمل مطلوب لهذه الرحمة، فلا يعقل أن إنسانًا يُعرض كيف يشاء ويفعل ما يشاء ويطمع في الرحمة، لذا كان المولى جل في علاه غافر الذنب لمن تاب وأناب، وعمل وأحسن فيما بينه وبين الله رب العالمين، شديد العقاب على العاصين المقصرين المسوفين وبعمل الإنسان الذي يكلؤه توفيق الله تبارك وتعالى ورحمته يستطيع الإنسان أن يتبوأ لنفسه عظيم المنزلة عند الله وأعلى درجات النعيم، لذا جاء تعبير القرآن الكريم عن الأعمال بنصب الموازين لها حيث قال جل شأنه:{وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾} [الأنبياء: ٤٧]، فمن أحسن فلله الحمد والمنة، ومن أساء فلا يلومن إلا نفسه وصدق الله حيث قال:{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾} [الزلزلة: ٧ - ٨].

المؤلف

* * *

الفصل الأول

مختارات تعبدية

مفهوم العبادة في الإسلام

إن الهدف من خلق البشر هو عبادة الله عز وجل وعلا - بل إن الهدف من خلق جميع المخلوقات هو عبادته جل وعلا، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾} [الذاريات: ٥٦ - ٥٧]، وقال تعالى: {إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾} [مريم: ٩٣ - ٩٥].

العبادة تعنى: كل عمل أو قول أو نية يؤديه المسلم بقصد التقرب إلى الله تعالى على جهة التذلل والخضوع إليه سبحانه.

يقول تعالى: {وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ} [طه: ١٣٠].

وقال تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾} [الفاتحة: ٥].

ومن أمثلة العبادة في الإسلام:

توحيد الله في الآذان: وذلك لبيان قصد العبادة لله وأن قدوتهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيقتدوا به كذلك الأمر في إقامة الصلاة، ومما لا يخفى على أحد إعلان الشهادة في التشهد الأوسط والأخير من الصلاة. ولعظيم مقام العبودية كان النبي صلى الله عليه وسلم هو العبد الكامل لله جل وعلا فجاء البيان بالوصف دون أن يتبعه الاسم الموصوف دلالة على شهرة النبي صلى الله عليه وسلم بخاتم النبيين والمرسلين وقد ذكر ربنا في كتابه عبودية المسيح عليه السلام تبرأةً له مما نسب إليه فقال جل شأنه: {لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ

فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾} [النساء: ١٧٢].

ومن تمام العبودية أن يرضى العبد بتحكيم شرع الله جل وعلا قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾} [النساء: ٦٥].

وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله:{لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به} ولكى يكون العمل مقبولاً يشترط فيه:

- أن يكون خالصاً لوجه الله الكريم فلا يشرك فيه مع الله شئ آخر من السمعة والرياء.

- أن يكون الإنسان في عمله متابعاً لهدى النبي صلى الله عليه وسلم مقتفياً أثره ومحافظاً على ما ترك لنا من بعده من دين قويم، وشرع مستقيم سليم غير مبدل له ولا مغير ولا مبتدع ولا مخترع إذ لا يكفى صدق النية وحده بقبول العمل ولكن لابد معه من صدق الاتباع وصدق العلم لكى لا تتبدل معالم الدين ولا تضيع أسسه (ومثال ذلك): تغيير يوم منى في الحج ويوم عرفة مثلاً بحجة الازدحام يقصد بذلك حسن النية إلا أن هذا الأمر يرد، لأنه مخالف لشرع الله جل وعلا ومخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:{خذوا عنى مناسككم} فلا مجال هنا للاختراع والابتكار والموقف موقف اتباع وليس ابتداع.

ولو فتحنا هذا الباب لتغيرت وتبدلت الشرائع من صلوات وغيرها وأُحْدِثَ في دين الله ما ليس منه ولكن لا مانع من الابتكار في تيسير الطرق وبناء المبانى واستخدام التكنولوجيا الحديثة وأن نضع في عين الاعتبار أنه لا مانع من الاجتهاد إذا دعت الضرورة لذلك ولم يكن هناك نصٌ في المسألة.

والعكس: لو كان العمل صحيحاً موافقاً للشرع ولكنه لغير وجه الله تعالى فإنه لا يقبل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى} (1).

نستخلص من ذلك أن كل عمل يعمله الإنسان بدون نية وبدون اتباع فإنه يرد عليه فالعبادة في الإسلام ليست مرتبطة بطقوس أو عادات كما يفعل في عاشوراء أو المولد النبوى إلى غير ذلك من أمثلة هذه الأمور وهناك كلمة تكثر على ألسنة كثير من الناس أن (العمل عبادة).

نقول: متى يعد العمل الدنيوى عبادة ويؤجر صاحبه عليه فإن لهذا العمل شروط وإلا أصبح وبالاً وخسراناً على صاحبه حيث يقول ربنا:{ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾} [الفرقان: ٢٣]، وكما قال أيضاً:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾} [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]، وذلك لأنه قد اختلت شروطه ومن أهم شروط قبول العمل:

– أن يكون العمل مشروعاً غير مخالف لأحد أركان أحكام الدين ومقتضيات الشرع الحنيف.

– أن يقصد بعمله وجه الله تعالى وذلك ضرورة في أمور الدنيا، من أكل وشرب فالمباحات تصير طاعات فضلاً عن أعمال الآخرة.

– الاعتقاد الصحيح والتوكل الصادق على الله وحده في أنه هو هو الرزاق على جهة الحقيقة أما العمل فهو سبب للرزق مطية له.

– ألا ينشغل عن أمور دينه بأمور دنياه والعكس أيضاً فلكل وقته.

(1) البخاري من حديث عمر بن الخطاب.

– أن يعلن فقره الدائم إلى الله وأنه في حاجة دائمة إليه ومعونة منه.

قال تعالى:{وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [آل عمران: ١٠١].

* * *

الجمادات ذات روح وحركة

كما نعلم جميعا أن الذي يستحق العبادة وحده هو الله رب العالمين وهو رب الأرباب ورب كل شئ ومليكه ولهذا يسجد له كل شئ طوعا وكرها، تسجد له الملائكة وتسجد له جميع المخلوقات من الإنس والجن والدواب والجمادات.

اقرأ قول الله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾} [الحج: ١٨].

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{أتدرى أين تذهب هذه الشمس؟} قلت: الله ورسوله أعلم، قال:{فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيقال لها: ارجعي من حيث جئتي}.

وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس رضى الله عنه قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله إني رأيت الليلة وأنا نائم كأني أصلى خلف شجرة فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها وهى تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وضع عنى بها وزرا واجعلها لى عندك زخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود.

قال ابن عباس: فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدة ثم سجد فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة.

- مخلوقات الله كثيرة، أكثر من أن تحصى أو تعد، حشد من

الجبال الشاهقة والأشجار العالية، والدواب التي تدب على الأرض، أو ملائكة الله في السماء كل هذه المخلوقات تسجد لله غير الإنسان الذي خلق من طين فالبعض ساجد، والبعض جاحد، والبعض حق عليه العذاب.

- وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم لصوت الحصي وهو يسبح في يده وحن الجذع الذي كان يخطب النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسمع له أنينا، وقال ربنا في حق نبي الله داود عليه السلام:{وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } [الأنبياء: ٧٩].

- إن الكون وما فيه متجه كله إلى خالقه مسبحا بحمده قائما بصلاته والإنسان حينما يرتفع عن ترابيته ويتجه إلى خالقه بحسن بسجود المخلوقات كلها قال تعالى:{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } [الإسراء: ٤٤].

- هذه المخلوقات التي عرفت رحمة الله، قال تعالى:{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } [الأعراف: ١٥٦].

هذه المخلوقات التي تعرف عقاب الله تعالى:{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾} [الطور: ٧ - ٨].

حدث في مدينة (فربولي) إحدى المدن الإيطالية في مايو سنة 1976م، ارتفعت فجأة أصوات الحيوانات، الكلاب تنبح وتجري هنا وهناك، والقطط تتحرك مذعورة، والفئران تترك جحورها مندفعة في الحواري والأزقة والجياد والأبقار هائجة، والطيور تطير من أعشاشها، وترسل أصوات تدل علي الفزع وكأنها تستغيث، لم

يصدق سكان المدينة ما تراه أعينهم وكأن أشباحاً غير منظورة حلت بهذا المكان، ثم تمضي ساعات بطيئة ثقيلة علي أهلها، وفجأة!! أحسوا بأن الأرض تميل من تحت أقدامهم حتى ضرب زلزال مهول ضربته، وحقق خسائر فادحة وكان تحت الأنقاض أكثر من ألف قتيل من الضحايا مما جعل اليابانيون يضعون أحواض السمك عندهم نظرًا لكثرة الهزات الأرضية، فتأتى الأسماك بحالات غريبة من الاضطرابات فيعلمون بقرب حلول الزلزال.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا من قبل، كما جاء في صحيح البخاري:{إذا سمعتم صوت الديكة فادعوا الله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم صوت الحمير فاستعيذوا بالله فإنها رأت شيطاناً} إن هذه التصرفات تصدر عن وجود حواس كامنة في هذه الكائنات وصدق الله حيث قال:{ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ} [طه: ٥٠]، وقد تحدث ربنا عن النار بأنها أحد مخلوقاته تسبح وتسجد لربها وتعجب من أهل الكفر وتتألم وتسمع وتطيع قال جل شأنه:{إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾} [الفرقان: ١٢ - ١٣]، وقال أيضا:{تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِىَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِى ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾} [الملك: ٨ - ١١].

* * *

نعم الله لا تحصى

الناس في هذه الحياة الدنيا بين شاكر آمن، وبين جاحد كافر، والجحود والكفران والشكر والعرفان من طبيعة البشر، وصدق الله حيث قال:{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ } [سبأ: ١٣].

وقال أيضا:{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾} [إبراهيم: ٧].

ونعم الله أكثر من أن تحصي أو تعد، فالنعم الظاهرة والباطنة هي منه تفضلاً ورحمة بلا جهد وبلا عناء من الإنسان، قال ربنا:{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً } [لقمان: ٢٠].

ولا يعرف الإنسان قيمة هذه النعم إلا بفقدها فهو لا يحصيها فضلا عن أنه لا يشكرها.

كثير من الناس ينظر إلى المال علي أنه هو النعمة المحسوسة التي يتفاضل بها الناس مع نسيانهم لنعم كثيرة يتنعمون بها ليلا ونهارا ولا يشعرون بها، كالإسلام والإيمان والتوفيق إلى الطاعة والصحة والأولاد إلى غير ذلك.

قال تعالى:{ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } [يونس: ٥٨].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :**{نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ}**.

ومن النعم هدوء البال، وطمأنينة النفس، وعدم الخوف، وقد صور النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعني بقوله:{من أصبح منكم آمنا في سربه معافًا في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها}، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أيضا: {إن الله ليرضي عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمده عليها} وكما جاء في الأثر: قال داود عليه السلام " يارب كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك عليَّ، قال الله: الآن شكرتني يا داود " وذلك لأن سيدنا داود قد اعترف بالتقصير، وهناك لون من ألوان الشكر أيضا يتمثل في عدد مفاصل الإنسان، وهي تمثل 360 مفصلاً، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن شكر هذه النعم بقوله:{ يصبح علي كل سلامي من أحدكم صدقة ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحي}، وصدق الله حيث قال:{وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾} [الذاريات: ٢١]، نعم.. فكل عضو له وظيفته ولا يمكن الاستغناء عنه أبدا ولا يساوي المال شيئاً في هذا كوجود الكبد والكلي أو غير ذلك من هذه الأعضاء، فضلا عن نعمة العقل وراحة البال، والتنفس بالليل والنهار، وهناك من الواجبات المطلوبة من الإنسان: -

الواجب العملي يتمثل في: –

- الاعتراف بفضل الله والإكثار من الحمد والشكر.
- الرضا بقسم الله في الرزق مع السعي والأخذ بالأسباب.
- التفكر في آلاء الله ونعمه التي لا تحصي ولا تعد

موقف لأحد الصحابة:

كان يقول عن نفسه: " اللهم حبب عُبيدك هذا إلى عبادك

المؤمنين "، أسلم في السنة السابعة من الهجرة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وأمه كانت تدعو عليه بسبب إسلامه وكانت تدعو علي الرسول صلى الله عليه وسلم، فطلب هذا الصحابي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو لأمه، ففاز بخير كثير من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لا أقصد الخير المادى وإنما الخير العلمي حينما قال النبي صلى الله عليه وسلم :**{من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه فلن ينسي شيئاً سمعه منى}** ففعل ثم قال: لولا آية من كتاب الله والله ما حدثتكم بشيء:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩} [البقرة: ١٥٩].

كان يشد الحجر علي بطنه من الجوع وذات مرة قابله الصديق فسأله أن يستتبعه، ثم حدث ذلك مع عمر بن الخطاب، ثم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطحبني فوجد قدحاً فيه لبن فأعطاني إياه، إنه الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضى الله عنه.

* * *

إيجابية المؤمن

الإنسان مدني بطبيعته كما يقول ابن خلدون في مقدمته والمعني لا يستطيع الإنسان أن يعيش بمفرده عن الناس وتلك حقيقة أقرها القرآن حيث يقول ربنا:{وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } [الزخرف: ٣٢] وإذا كان الإنسان في حاجة إلى بنى جنسه وإلى غيره وإلى الكون وما فيه فإن هذا الأمر يتطلب من الإنسان المسلم أن يكون عضواً فعالا وأن يكون إيجابياً في حياته لا سلبياً وأن يكون له رأيه وأن يؤثر في غيره وأن يتأثر بغيره ولا يكون مثله مثل الريح يتحرك يميناً ويساراً رغما عنه.

مفهوم الإيجابية: هي المسارعة إلى منع مفسدة ستقع على الغير بدون طلب منه عند القدرة على ذلك وقد علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى من خلال:{**لا يكن أحدكم كالإمعة إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم بأنفسكم إن أحسنوا أحسنتم وإن أساءوا فلا تسيئوا**} من خلال هذا التوجيه النبوى الشريف يستشعر العبد المؤمن أن له كيانه وأن له رأيه، أن له شخصيته فلا يذهب حيث يذهب الناس ولا يعرض حيث يعرض الناس ولكنه يعرض رأيه وفكره على تعاليم الإسلام فإن رأي الصواب فعل وإن رأي غير ذلك أعرض.

*** في معرض الأمثال:**

القرآن الكريم تحدث عن الإيجابية في شخصية الكائنات المفترض

فيها أنها غير مكلفة إلا أنها لم تقف مكتوفة الأيدي ولكن كان لها دور إيجابي فعال يقول ربنا:{وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾} [النمل: ١٧ - ١٨].

يقول صاحب الظلال:

وهنا نقف أمام خارقتين لا خارقة واحدة، خارقة إدراك سليمان لتحذير النملة لقومها، وخارقة إدراك النملة أن سليمان وجنوده أما الأولى: هي مما علمه سليمان إنسانًا ونبيًا... وقد يهرب النمل من الخطر بحكم ما أودع الله فيه من القوة الحافظة للحياة وأما أن تدرك النملة أن هذه الشخوص هم سليمان وجنوده فتلك هي الخارقة الخاصة التي تخرج عن المألوف.

إن هذه النملة لم يهمها نفسها وفقط ولم تقل مالي وباقي النمل المهم أن أنجو بنفسي لو قالت ذلك لما استحقت أن يخلد الله ذكرها في القرآن الكريم (1).

*** موقف الهدهد وإيجابيته:**

يقول صاحب الظلال: ونجد أنفسنا أمام هدهد عجيب صاحب إدراك وذكاء وإيمان.

وبراعة في عرض النبأ وانظر إلى ذلك الهدهد المؤمن الداعي للإيمان يختار من نعم الله ما يخصه:{ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [النمل: ٢٥] حيث إن للهدهد مقدرة على رؤية الماء والغذاء تحت سطح الأرض وتكون في خجل شديد أمام إيجابية ذلك الهدهد

(1) في ظلال القرآن للسيد قطب.

الذي فزع حينما رأي أناساً يسجدون للشمس من دون الله فلم يتكاسل ولم يلتمس لنفسه عذر الضعف لأنه طائر ضعيف أمام ملكة قوية ولم يقل إني لا أغير الكون ولم يقل: (الباب الذي يأتيك منه الريح أغلقه واستريح)، وإنما جاء ووقف بثبات أمام النبي الملك سليمان عليه السلام وكل شغله قضية التوحيد، فالمؤمن الصادق يمتلك كل أدوان التغيير وإن لم يكن معه شيء إلا أنه مع القوى الجبار.

ومن أهم مظاهر الإيجابية:

- إماطة الأذى عن الطريق لأنها صدقة.

- مساعدة المحتاج لقول النبي صلى الله عليه وسلم :{إن لله عباداً اختصهم بقضاء حوائج الناس}.

عدم السخرية من الغير لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :{ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا}.

- عدم اللهو واللعب المبالغ فيه الذي يؤدى إلى التقصير في حق الله.

- إن وجد توجيه فبالنصح والرفق والإرشاد.

* * *

من هم الأهلون؟!

سؤال يدور في خلجات النفس البشرية وتتغير الإجابة وتتبدل وتتفاوت من إنسان إلى آخر حيث تتأتى الإجابة من البعض بقوله - إذا ما سئل من هم أهلك؟ - قال: ابني لأنه في تصوره أن ابنه هو الذي يحمل اسمه وهو امتداد له إلا أن هذه الإجابة ليست على صواب حيث إن القرآن الكريم جاء بنفيها طالما أن الابن غير صالح وذلك في معرض الحديث بين نوح وابنه كما قال تعالى:{وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾} [هود: ٤٥ - ٤٦].

والبعض يجيب بقوله: إن أهلي ابنتي إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{**اعملي يا فاطمة فإني لا أغنى عنك يوم القيامة من الله شيئًا**}.

والبعض يقول: إن أهلي وعزوتي تتمثل في أبى إلا أن ما حدث بين الخليل إبراهيم عليه السلام وبين أبيه ينكر ذلك كما تطالعنا آيات سورة مريم قال تعالى:{وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ

بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾} [مريم: ٤١ - ٤٩] وبعضهم يقول: أمي، وتأتي صورة من صور يوم القيامة وهول من أهوالها حيث تقف الأم وتقول لابنها: يا بنى إن ثديي كان لك سقيا وحجري لك وعاء وغطاء بطني لك حواء فأعطني حسنة فيقول: يا أماه إني في أشد الحاجة إلى ما تحتاجين إليه..، وبعضهم يقول: إن أهلي يتمثلون في عمومتي والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض دعوته على عمه أبى طالب يا عماه قل كلمة اشفع لك بها عند ربى. والبعض يقول إن أهلي يمثل في زوجتي إلا أن الله ضرب الأمثال في ذلك، فقال تعالى:{ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾} [التحريم: ١٠ - ١١].

وبعضهم يقول: إن أهلي يتمثلون في أخي وأختي وفي ذلك يقول الله تعالى:{يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾} [عبس: ٣٤ - ٣٧]، وقال أيضاً:{يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾} [المعارج: ١١ - ١٤].

نعم.. ربما يقول البعض: إن هؤلاء هم الأهلون حقاً ولكن شريطة أن يكونوا من أهل الصلاح والتقوى ولا يتأتى الصلاح والتقوى إلا بالإيمان، يقول الله تعالى:{ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾} [المؤمنون: ١٠١].

وقال رب العزة:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١} [الحج: ١].

وقال الله أيضاً:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤} [التوبة: ٢٣ - ٢٤].

- موقف: لم تعلم المدينة أحداً أبر بوالده منه في غزوة بني المصطلق حيث تشاجر وحدث خلاف بين غلامين من قبيلتين مختلفتين وتم الصلح بينهما، إلا أن رأس النفاق عبد بن أبي بن سلول قال: لقد كاثرونا وأنكروا مننتنا وأصبحوا كما يقال: سمن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزن وأشار عمر بقتله وثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي ما قاله هذا المنافق وجاء ابنه وكان من الصحابة الأجلاء وقال: إن كنت قد أمرت أحداً يا رسول الله بقتل أبي فمرني به ووالله لأحملن لك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك، ولقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبر بوالده منى وإني لأخشي أن تأمر غيري بقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي فأقتله فأدخل النار ولكن عفوك أفضل ومنك أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**ما أردت قتله ولا أمرت به ولنحسن صحبته ما كان بين أظهرنا**} وتبرأ هذا الصحابى من أبيه ووقف على باب المدينة واستل سيفه فلما جاء أبوه قال له: أنت الذي قلت كذا وكذا

وكذا فوالله لا تجوز منها ومن ها هنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه العزيز وأنت الذليل فجعل الرجل يصرخ ويقول: ابني يمنعني بيتي ثم كرر القول ثانية مثل ما سبق فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأذن له فخل سبيله وهكذا يكون الولاء والبراء كما تعلمنا من هذا الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول فأهل الإيمان هم الأهلون الحقيقون فإخوة الإيمان أقوي من أخوة النسب كما قال تعالى:{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠].

فرابطة العقيدة الصحيحة هي الأساس مهما اختلفت الأشكال والألوان.

وصدق الله حيث قال:{ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾} [الأنبياء: ٩٢].

* * *

واقع الأمة

تكثر الأحداث النازلة وممارسات الإكراه علي المسلمين وديارهم من قبل أعدائهم وهي ليست وليدة اليوم إذ الابتلاء سنة ماضية بل الابتلاء ليس قاصراً علي الشر وحده، إذ يقول ربنا:{وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥].

وليست المصيبة في الابتلاء لكونه سنة ماضية وإنما المصيبة في كيفية التعامل معه فلا يكون التعامل سلبياً بل إيجابياً وأن يكون موقفنا واضحاً جلياً والابتلاء وإن كان ظاهره الشر إلا أنه قد ينطوي علي خيرات كثيرة لمن وفقه الله لاستلهام ذلك ولا أدل علي ذلك من حادثة الإفك الشهيرة التي رمي فيها عرض سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول ربنا:{إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} [النور: ١١].

والسعيد من الناس من تلمس الأمل وسط الزوابع والكيس الفطن هو من استخرج لطائف المنح وسط لفائف المحن.

أخرج أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال:{يا أبا أمامة مالي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة؟!} قال: لزمتني ديون يارسول الله قال:{أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضي عنك دينك} قلت: بلي يا رسول الله قال:{قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ

بك من غلبة الدين وقهر الرجال} قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عز وجل همي، وقضي ديني.

وصدق الله حيث قال:{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾} [النور: ٥٥].

فالله تبارك وتعالي لا يخلف الميعاد وبالنظر إلى حال المسلمين نجد من يقتل بعضهم بعضا من أجل عرض زائل من أعراض الدنيا الفانية فيجب علي المسلمين اليوم أن يعودوا إلى دينهم وأن يشعروا بعظمته وأن يبصروا اعتداله ووسطيته.

قال تعالى:{قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [الأنعام: ١٦١].

قال تعالى:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } [البقرة: ١٤٣].

وأصبحوا لا يرون كماله قال تعالى:{ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا } [المائدة: ٣].

ولا ينظرون بإجلال لقوته قال النبي صلى الله عليه وسلم :{إن هذا الدين متين}.

وأصبحوا لا يعرفون أن أحكامه مبنية علي اليسر، قال صلى الله عليه وسلم :{إن هذا الدين يسر}.

- فالإحساس بعظمة الإسلام له دور مهم في صياغة الأمة الإسلامية وصناعتها ولذا نري هوان الإسلام على أصحابه في هذا العصر لعدم تعظيم الإسلام في نفوس المسلمين وعدم تعظيمهم

لشرائعه وشعائره.

قال تعالى:{ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾} [الحج: ٣٢].

إذا نظرت إلى حال المسلمين مع أنهم يؤدون الصلاة فالمنكرات والفواحش تملأ كل موقع عندهم.

والله سبحانه وتعالي يقول:{إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ} [العنكبوت: ٤٥] فلقد أدينا الصلاة فلماذا لم تنته الفواحش والمنكرات من بلادنا؟ وبيوتنا؟ هل تخلف وعد الله الصادق معنا؟

الجواب. اعلم أن وعد الله حق وصدق فإذا لم يتحقق لنا وعد وعده الله وجاء في شرعه فالمتهم هم المقصرون وليس الوعد ولكن علينا نحن أن نكون مؤمنين عاملين، قال أبو العالية: إن الصلاة فيها ثلاث خصال: الإخلاص والخشية وذكر الله.

الإخلاص يأمره بالمعروف والخشية تنهاه عن المنكر وذكر الله القرآن يأمره وينهاه وكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخصال فليست بصلاة.

فالصلاة الجامعة للشروط والآداب المستوفية للخشوع والأحكام هي المقبولة عند الله ولنعلم أن وعد الله حق وصدق.

قال تعالى:{وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾} [آل عمران: ١٣٩].

ولنعلم أن ما يقال في الاجتماعات والمفاوضات إنما هو في صورة

العسل الذي بداخله السم الزعاف وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله:{يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ} [التوبة: ٨].

وقال أيضاً:{وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} [آل عمران: ١١٨]، وعلينا جميعاً الاعتصام بالله والتمسك بالدين وإذا مكروا فالله خير الماكرين وأن يكون سلوك المسلم منطلقاً من قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ١٩]، وصدق الله حيث قال:{وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [المائدة: ١٢].

فأي خيار تختاره أمة الإسلام؟؟

* * *

لماذا لا نخاف الله!!

الإنسان في هذه الحياة من الممكن أن يخاف من إنسان مثله، أو يخاف من ظالم جبار أو يخاف من حيوان، وهذا الخوف شيء فطري في الإنسان إلا إذا أقام الإنسان حدود الله فإن الله يخوف منه كل شيء وإذا كان الإنسان يخاف من مثل هذه الأمور فمن باب أولي أن يخاف من الله والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا لا نخاف من الله؟ الله تبارك وتعالي جعل الجنة لمن خافه فقال جل شأنه:{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾} [الرحمن: ٤٦]، علي أن الخطاب للجن والإنس أو علي قضية الإرث بين العاصي والطائع.

حال الكافرين قال تعالى عن حالهم:{وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً} [الأنفال: ٣٥]، أي صفير وتصفيق فحين تعرض الآيات القرآنية علي الكافرين فإنهم يولون مدبرين بطرق شتي قال تعالى عن حالهم:{وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت: ٢٦].

فهم في حقيقة الأمر يسمعون القرآن والمواعظ وذكر المقابر والنار وعذاب الآخرة فيعرضون عن سماعها لئلا تؤثر فيهم.

قال تعالى:{بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾} [القيامة: ٥].

وقال أيضا:{كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾} [المدثر: ٥٣].

● وهذا هو موقف الوليد بن المغيرة حينما سمع القرآن قال: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلي عليه.

وهذا موقف أبي جهل عندما فزعت آية الزقوم أذنيه قال: هي من ثريد وزبد لئن رأيتها لأزقمتها زقما فأنزل الله في وصفها:{إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾} [الدخان: ٤٣ - ٤٦].

- التخويف بالآيات: من أجل تخويف العباد وحثهم علي دعاء الله وحده وسؤاله أرسل الآيات البينات الدالة علي صدق الرسل.

قال ربنا:{وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء: ٥٩] فمن كذبها عوقب بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة كما عوقب بالطوفان قوم نوح وقوم فرعون بالغرق وقوم هود بالصيحة إلى آخر هذا العقاب ثم منع الله تعالى نزول الآيات بعد ذلك حتى لا يحل بالناس نقمة فقال تعالى:{وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ} [الإسراء: ٥٩]، ولكن بقي لها علامات منها الرعد والبرق، وكسوف الشمس والقمر، إلى غير ذلك.

- عتاب الله للمؤمنين. الخشية من الله طريق العلم.

قال تعالى:{إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟} [فاطر: ٢٨]، الخوف الذي تقشعر منه الأبدان وتلين له الجلود وتدمع منه العيون يقول ابن مسعود: لم يكن بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ} [الحديد: ١٦]، إلا أربع سنوات والعتاب باق لكل متغافل لاهٍ معرض عن ذكر الله.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :{**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا وإن سلعة الله غالية ألا وهي الجنة**}.

والخوف عبادة واجبة فقد رأي النبي صلى الله عليه وسلم الجنة

والنار فقال:{لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً}.

وهذا هو الصديق يقول: لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدماي في الجنة.

وهذا عمر يقول: يا ليتني شعرة في صدر أبي بكر.

كيف لا يخاف من قلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن؟

كيف لا يخاف من زال ملكه وانقطع أمله؟

كيف لا يخاف من اقترب أجله ولم ينفعه ماله؟

كيف لا يخاف أهل المظالم عن الوفاء؟

كيف لا يخاف من لا يدري أين يذهب إلى الجنة أم إلى النار؟

كيف لا يخاف أهل المعاصي والشهوات؟

هيهات هيهات أن ينجو مغرور أو يفلح كافر وهو يساق إلى دار الثبور.

والسؤال: أريد الخوف من الله ومن معاصيه ولكن حالت الحوائل وكثرت الشواغل وجمدت الدموع وقست القلوب.

والجواب يتأتى بعدة أمور:

- **أولاً**: معرفة الله حق معرفته بأنه سميع عليم بصير محيط قادر.
- **ثانياً**: ذكر الله بالقلب واللسان وقيام الليل ولا سيما وقت السحر.
- **ثالثاً**: صحبة الأتقياء الأنقياء الخائفين من رب الأرض والسماء.
- **رابعاً**: زيارة المقابر وأنه لابد من يوم نكون فيه من أهلها.
- **خامساً**: ذكر النار وعذاب النار والتعرف علي أهلها وأصحابها.

ودائماً وأبداً، دعاء الله والاعتراف بأنك عبد ضعيف لا حول لك ولا قـوة إلا بـالله قـال تعـالى:{وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [آل عمران: ١٠١]، وصدق الله حيث قال:{فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [البقرة: ١٥٠].

* * *

الصدقة فداء للنفس من عذاب الله

الإنسان في هذه الدنيا بين منفق متصدق، وبين مقتر بخيل، الصدقة فداء للنفس من عذاب الله، وأفضل الصدقة والإنسان شحيح يخشى الفقر ويأمل الغني، أفضل الصدقة دينار ينفق في سبيل الله.

روي الإمام أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك وقال صحيح علي شرط الشيخين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {إن الله أمر يحيي بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها} ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها فذكر الحديث إلى أن قال: {وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه}.

ما أسعد الإنسان بنفسه إذا زكاها بالطاعات كالصلاة كعلاج روحي ونفسي، وبالصيام كقربي إلي الله عز وجل وبالصدقة والزكاة كتطهير للنفس وبالحج الأشبه بالرحلة الأخروية في أرض المحشر والسعي علي المساكين التي تحدث رقة في القلب وقضاء حوائج الناس الذي ينشرح بها الصدر وقاد بمسيرتها بمنهج رب العالمين، قال تعالى:{فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾} [النازعات: ٣٧ - ٤١].

روي مسلم من حديث زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها}.

إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع أكف الضراعة إلى الله طالبا من الله تقوي النفس فما بالك بالعبد الضعيف الفقير الذي تتمكن منه الشهوات والأهواء والملذات فمن زكي نفسه فاز بكنز مطلوب وظفر بكل محبوب وعماد ذلك الصدقة لله رب العالمين.

قال تعالى عن فداء النفس:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾} [آل عمران: ٩١ - ٩٢].

فالنفس المؤمنة لا تملك إلا العمل الصالح والنفس الظالمة لا تملك شيئاً ولو ملكت ما قبل منها.

- مقارنة بين صورة دنيوية للحديث وصورة أخروية وشتان ما بينهما:

يقول تعالى:{يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾} [المعارج: ١١ - ١٨].

إن الهول ليأخذ بحسه، وإن الرعب ليذهب بنفسه، وإنه يود لو يفتدي نفسه من عذاب يومئذ بأعز الناس إليه من كان يفديهم في الدنيا بمن في الأرض ولكن الجواب كما قال تعالى:{كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾} [المعارج: ١٥ - ١٨].

كما قال تعالى أيضا:{وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾} [الزخرف: ٧٧ - ٧٨].

فالمرء في ظل صدقته يوم القيامة كما أخبر النبي صلى الله عليه

وسلم :{سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله.. منهم.. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه}.

وكما أخبر أيضا:{ما نقص مال عبد من صدقة}، فالصدقة فداء للنفس من عذاب الله وهذا الفداء علي مقدرة كل إنسان.

حيث قال ربنا:{ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [البقرة: ٢٨٦]، وقال:{لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا} [الطلاق: ٧]، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:{اتقوا النار ولو بشق تمرة}.

* * *

أسباب المغفرة

مما لا شك فيه أن كل إنسان خلق من التراب وأنه سيعود إلى التراب، قال تعالى:{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾} [طه: ٥٥].

ولكنه خرج من التراب بدون ذنوب وسيعود إليه وكله ذنوب، ولكن رحمة الله واسعة فنعلم أن باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد روح وأن غفران الله لا يحد بحدود وحال أهل الإيمان أن الملائكة تدعو لهم.

قال تعالى:{ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾} [غافر: ٧ - ٩]، وقال أيضا:{ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا} [الكهف: ٤٩].

فكلنا ذوو خطأ وكلنا أصحاب ذنوب وقد حث الله سبحانه وتعالي علي المسارعة إلى مغفرة الذنوب فقال جل شأنه:{وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾} [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦]، فالآية

حثت علي التوبة والإنابة وغفران الذنوب ثم العمل الصالح.

وكي تتضح الصورة فهناك أسباب لمغفرة الذنوب منها:

أولا: الذكر عند سماع الأذان وذلك بترديد المسلم كلمات الأذان ثم يقول: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا كما روي الإمام مسلم في صحيحه.

ثانيا: الوضوء، فالوضوء أحد الأسباب التي تؤدي إلى مغفرة الذنوب حينما يكون العبد المسلم متوضئاً وضوء كامل الأركان والسنن فإنه يخرج نقياً من الذنوب والآثام كما روي الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة.

ثالثاً: المشي من البيت إلى المسجد كفارات للخطايا، كما روي ذلك أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{**إذا توضأ أحدكم ثم خرج إلى الصلاة لم يرفع قدمه اليمني إلا كتبت له حسنة ولم يضع قدمه اليسرى إلا حط عنه سيئة**}.

رابعاً: من أسباب مغفرة الذنوب من وافق تأمينه تأمين الملائكة، كما روي ذلك الإمام البخاري في صحيحه إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه.

خامساً: من أسباب مغفرة الذنوب: إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه كما روي ذلك البخاري في صحيحه.

سادساً: من أسباب مغفرة الذنوب المكث في المسجد بعد الصلاة، فالملائكة تصلي عليه اللهم اغفر له، اللهم ارحمه.

سابعاً: من أسباب مغفرة الذنوب صلاة ركعتين لا سهو فيهما فذلك

يغفر له ما تقدم من ذنبه كما روي ذلك الإمام أحمد في مسنده.

ثامناً: من أسباب مغفرة الذنوب: من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم يصلي ركعتين كان له أجر حجة وعمرة تامة تامة تامة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

تاسعاً: من أسباب مغفرة الذنوب انتظار الصلاة بعد الصلاة لقول النبي صلى الله عليه وسلم :{**ألا أدلكم علي ما يمحو الله به الخطايا ويرفع بع الدرجات**} قالوا: بلي يا رسول الله، قال:{**إسباغ الوضوء علي المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط**}.

عاشراً: من أسباب مغفرة الذنوب، كذلك المبيت علي طهارة:{**من تعار من الليل فذكر الله ودعا استجيب له فغفر له**} صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحادي عشر: من أسباب مغفرة الذنوب: العبادة في الهرج لقول النبي صلى الله عليه وسلم :{**عبادة في الهرج كهجرة إلى**} والهرج هو انتشار الزنا وكثرة الفتن، والعبادة تتمثل في التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير إلى غير ذلك من هذه الأمور.

الثاني عشر: من أسباب مغفرة الذنوب: مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة وكذلك الصيام يوم عاشوراء ويوم عرفة يكفران ذنوب سنة ماضيه وسنه باقية لإخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

الثالث عشر: من أسباب مغفرة الذنوب والخطايا قول النبي صلى الله عليه وسلم : {**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته**

أمه}.

وبذلك يتضح أن أسباب مغفرة الذنوب كثيرة والعاقل من النـاس من اغتنم هذه الأسباب.

* * *

الرزق بين الشك واليقين

الله تعالى خلق جميع المخلوقات وقدر لهم أرزاقهم إلى يوم الدين وفي ذلك الأمر دلالة علي أن الله ضامن أرزاق جميع المخلوقات.

قال تعالى:{وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾} [الذاريات: ٢٢ - ٢٣].

قال الحسن البصري: (السحاب فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وأعمالكم، فالله قدر أرزاق الخلائق في أربعة أيام).

قال الله تعالى:{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾} [فصلت: ٩ - ١٢].

قال ابن جرير: إن الله تعالى أخبر أنه قدر في الأرض أقوات أهلها وذلك ما يقوتهم من الغذاء ويصلحهم من المعاش.

قال جل شأنه:{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾} [هود: ٦].

مستقرها حيث تأوي أي تعيش، ومستودعها أي تموت..، فخزائن الأرزاق لا حدود لها عند الله.

قال ربنا:{ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ } [الحجر: ٢١].

قال الحسن البصري: المطر خزائن كل شيء، وقال القرطبي: لا ننزله إلا علي حسب مشيئتنا وعلي حسب حاجة الخلق إليه، فالشيطان يخوف الإنسان ويطرح في قلبه الشك من ناحية الرزق، كما قال تعالى: { ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا } [البقرة: ٢٦٨].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :**{لو أنكم توكلتم علي الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا}**.

فلا بد من وجوب التوكل علي الله مع الأخذ بالأسباب لقول النبي صلى الله عليه وسلم :**{ما أكل أحد طعامًا قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده}**.

والدعاء أيضا سبب من أسباب الحصول علي الرزق كما في سورة غافر، قال تعالى:{ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ } [غافر: ٦٠].

وقال أيضا:{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ } [البقرة: ١٨٦].

وقال أيضا:{ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ } [النمل: ٦٢].

وفي قصة مريم قمة التوكل علي الله مع الأخذ بالأسباب مع أنها امرأة في النزع الأخير من المخاض وبالرغم من ذلك تأخذ بالأسباب.

قال تعالى:{وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ} [مريم: ٢٥ - ٢٦].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :{إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله}.

وعند الإمام مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علي الماء}، فالمعاصي تزيل نعم الله على عباده والقصص القرآني كثير في ذلك كما ورد في سورة سبأ والنحل والكهف والقصص والشعراء وغيرهم.

قال تعالى:{لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾} [سبأ: ١٥].

قال تعالى:{وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾} [الكهف: ٣٢].

وقال أيضاً:{إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ} [القصص: ٧٦].

وقال في حق فرعون حينما تقول علي نبي الله موسى وخرج وراءه وأدركه الغرق وكانت نهايته محتومة ونجاة الله ببدنه وجعله عبرة لغيره.

قال ربنا:{ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾} [الشعراء: ٥٤ - ٥٦].

* * *

محمد رسول الله... وأزواجه أمهاتكم

تعاليم الإسلام وأحكامه كثيرة أكثر من أن تحصى أو تعد والنبي صلى الله عليه وسلم لم يجد باباً من أبواب الخير إلا وأرشد وحث عليه، ولم يترك باباً من أبواب الشر إلا وحذر منه.

ولما كثرت تعاليم الإسلام، والنبي صلى الله عليه وسلم يرشد أصحابه كان الواحد منهم يأتى ويسأله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، ويأتى آخر ويقول: أرأيت إن صمت وصليت وزكيت وحججت البيت فماذا لى من الثواب؟ وتتعدد الأسئلة وتختلف، كما حكى القرآن الكريم تارة يأتى السؤال عن الجبال، ومرة عن الروح، وأخرى عن المحيض، وغيرها عن الساعة والخمر والأهلة، فالسؤال هو مفتاح العلم وتحت السؤال يندرج العلم الكثير.

وإذا كنا نقول: محمد رسول الله فهو رسول الله وخاتم النبيين وليس أباً للمسلمين كأبوة الأصول والفروع، فالرسول ليس أباً لأحد من رجال المسلمين، فقد مات أولاده الذكور من السيدة خديجة رضى الله عنها قبل التكليف بأوامر الرسالة قال الله تعالى:{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ } [الأحزاب: ٤٠].

إن أبوة النبي صلى الله عليه وسلم أبوة روحية بالرسالة والتعليم روى النسائي وابن ماجة من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال:{إنما أنا لكم مثل الابن لوالده}، وقد روى في سبب نزول الآية سالفة الذكر أن الإسلام أراد أن يبطل قضية التبني تماماً قال

النبي صلى الله عليه وسلم : زيد ابني أي زيد بن حارثة يرثني وأرثه ثم تزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي بأن يطلب من زيد أن يطلق زينب ممن تبناه فهو ليس ابناً صلبياً له.

أما بالنسبة لإجابة الوالدين أثناء الصلاة فهذا الأمر مقصور على صلاة النافلة دون الفريضة اعتماداً على حديث (جريج) العابد الذي نادت عليه أمه وهو يصلى فلم يجب عليها فدعت عليه والأب يقاس على الأم خلافاً لإمام الحرمين فإنه قال: يجيبها حتى لو كان في الفريضة ما دام في الوقت متسع لها مع مراعاة أنه لا يجوز الرد عليها أثناء الصلاة ذاتها وإلا بطلت صلاته؛ لما رواه الإمام مسلم في صحيحه:{**إن الصلاة لا يصح منها شئ من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**}.

إذن طاعة الوالدين جزء من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعة الرسول مكملة لطاعة الله تعالى وصدق الله حيث قال:{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾} [الأحزاب: ٤٠].

أما عن معنى:{وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ} [الأحزاب: ٦]. فهذا يأخذ بأيدينا إلى سؤال لماذا جعل الله زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين في قوله:{وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ} [الأحزاب: ٦]، ولم يجعل النبي أباهم في قوله:{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ} [الأحزاب: ٤٠]، ولكن يقال أمهات المؤمنين كما عند البيهقى من حديث عائشة وذلك في نطاق خاص فيحرم التزوج منهن لقوله تعالى:{وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ

أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا } [الأحزاب: ٥٣] فالعلة هنا هي الزوجية للرسول وليست الأمومة ومنها قوله:{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾} [النساء: ٢٣] الآيات، فكل امرأة متزوجة تعد أماً لك بحكم الزوجية القائمة تحل لك بطلاقها إلا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لسن كالأمهات في النظر إليهن والخلوة معهن ونقض الوضوء باللمس وفي زواج بناتهن فقد تزوج على بن أبى طالب من فاطمة وتزوج عثمان بن عفان من رقية ثم من أم كلثوم بنات السيدة خديجة رضى الله عنها.

* * *

فضائل التسبيح

يعتقد كثير من الناس أن العبادة لله رب العالمين تتمثل فيما اقتصر عليهم من صلاة وصيام وزكاة وحج غير أن العبادة تتمثل في كل عمل فيه طاعة لله رب العالمين وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:{**ولا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى**} فالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير كلها ألوان من ألوان الذكر والعبادة المطلقة لله رب العالمين قال تعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

والتسبيح معناه:

نفي النقائص عن الباري جل في علاه دلالة على أن الله منزه عن كل نقص وطالما أن الله قد استوجب الحمد على نعمه التي أكثر من أن تحصى أو تعد فقد استوجب أنه منزه عن كل نقص يستطيع الإنسان أن يتعبد لله في جميع أوقاته وأحواله حتى خارج مكان العبادة لله رب العالمين وقد جاءت صيغة الماضي كما في صدر سورتي الحديد والحشر وغيرهم قال جل شأنه في سورة الحديد:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [الحديد: ١].

وقال في سورة الحشر:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ} [الحشر: ١]، وصيغة المضارع جاءت في صدر سورتي الجمعة والتغابن قال تعالى:{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ} [الجمعة: ١]، وجاءت صيغة الأمر كما في صدر سورة

الأعلى:{سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾} [الأعلى: ١]، وفي سورة النصر:{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ } [النصر: ٣]، وقد جاءت سنة النبي صلى الله عليه وسلم موضحة لفضل التسبيح ففي الحديث الذي رواه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال:{من سبح لله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر}.

وللتسبيح فوائد عديدة منها:

- التسبيح نجاة من الأزمات والكربات وليس هناك أدل مما حدث لنبى الله يونس حينما دعى دعوة جمعت بين التوحيد والإقرار والاعتذار والتسبيح قال تعالى:{ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾} [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨] وكما أخبرنا أيضاً بقوله في سورة الصافات:{ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ } [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤].

- التسبيح نجاة من مرارة الصبر حيث ينشرح الصدر وقد جمع الله بين الصبر وضيق الصدر والتسبيح فقال:{ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ } [الطور: ٤٨ - ٤٩] وأخبرنا أيضاً:{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ } [الحجر: ٩٧ - ٩٩].

- التسبيح خير من ملك آل داود: ركب نبي الله سليمان البساط في ملك مهيب، أمر الريح أن تحمله، نعم الريح حيث هي والجن

وغيرهما مما سخره الله قال تعالى:{فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾} [ص: ٣٦ - ٣٧]، فمر على فلاح في أرضه فنظر هذا الفلاح إلى هذا الموكب فقال: سبحان من أعطاكم هذا يا آل داود فعاد سليمان إليه بعد أن استمع لهذه المقولة منه عبر الرياح والهواء فقال الرجل لم أخطئ في شئ فقال نبى الله سليمان - وهو نبى ملك قال ربنا:{وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ} [النمل: ١٦] فكل منهما ملك نبي فقال للرجل: " ألم تعلم أن تسبيحة واحدة خير من ملك آل داود ".

- التسبيح غراس أهل الجنة: في ليلة الإسراء تم اللقاء بين الخليل إبراهيم والحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وإذ برسالة تأتى لأمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخليل إبراهيم يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرها بأن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن أرضها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وأنعم بها من وصية من الخليل عليه وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة وأتم السلام، واعلم أن الجمادات والحيوانات وسائر الكائنات تسبح بحمد الله وربما أضعف الكائنات يكون أفضل من الإنسان في ذكر الله حتى جاء الثناء من الله على كلب أهل الكهف فقال جل شأنه:{ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ } [الكهف: ٢٢]، وقال أيضاً:{وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾} [الإسراء: ٤٤]، فالعاقل من الناس من اغتنم الطاعات وابتعد عن الموبقات.

* * *

وداعا يا رمضان

لرمضان مزايا عديدة وفضائل حميدة في نفوس المسلمين الصادقين، ومع دخول الأيام الأخيرة من رمضان يحزن القلب من أعماقه علي مغادرة أيام الخير والكرامة والساعات ترحل بسرعة وها هو الشهر ينتهي ولساننا يردد ليت العام كله يكون رمضان.

إن مثل رمضان مع الناس كمثل سوق قام وانفض وتاجر فيه الناس، ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر.

رمضــــــــان أذن بالرحيــــــــل ::: فاصــــفح الصــــفح الجميـــــل
واســــكب دموعــــك إنمـــا ::: يبكــي الخليـــل علـــي الخليـــل

لكن في هذا الوقت يجب علي كل إنسان أن يسأل نفسه

هل غير من نفسه في رمضان؟ أم أن رمضان رحل دون أن يستفيد.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:{قد خاب وخسر من أدرك رمضان ولم يغفر له} لأن الإنسان إذا لم يغفر له في رمضان فمتي سيغفر له.

إذا كنت قد أحسنت فلله الفضل والمنة، وإن كانت الأخرى فاغتنم الفرصة وتب إلى ربك فإن لله عتقاء في كل ليلة من رمضان.

سويعات وترحل فرصة العتق فاغتنمها بدعاء ودمعة صدق.

فقد خالف موسى العبد الصالح في طريق الصحبة عدة مرات كما ورد في سورة الكهف وفي نهاية المطاف قال العبد الصالح لموسي: {هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} [الكهف: ٧٨].

أما تخاف أن يقال لك ذلك.

فإذا كان القلب نقياً ضج لحدوث المعصية - أما لابس الثوب الأسود فإنه لا يضره وقوع الحبر عليه.

فالصيام ينقي الروح، يربي النفس، يحث علي البذل والعطاء ينقصنا في غير رمضان روح رمضان التي نحيا بها.

إذا كان الله أعطي رمضان جميع من يحيا علي الأرض من المسلمين، فإن ليلة القدر ليست لجميع الناس وإنما هي ليلة معطاة لخواص الناس.

فليلة القدر ليلة اصطفاء واجتباء من الله لمن صدق من عباده.

وقد حث الشهر الحنيف علي تتمة الصيام بإخراج زكاة الفطر من رمضان قبل صلاة العيد علي الكبير والصغير والعبد والحر والذكر والأنثي. وقد جاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في مجموعها تحث علي فعل الخير في رمضان فقال صلى الله عليه وسلم :{من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه}.

{من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه}.

{من قام ليلة القدر إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه}.

فهناك مقدمات، وهناك نتائج... والسؤال الآن هل قدمت المقدمات حتى تصل إلى النتائج!!؟

* * *

الإسلام والأمن الغذائي

يعانى العالم في الآونة الأخيرة مشكلة غذائية خطيرة ومعقدة حيث أصبح (الجوع والفقر) ظاهرتين متفشيتين في العالم المعاصر بالرغم من كثرة الإنتاج والتقدم الزراعي والصناعي المذهل والرفاهية التي تعيشها بعض الدول العربية والإحصائيات تفيد عن كثرة من يموتون جوعاً وأن ما يزيد عن مليون شخص يعانون من سوء التغذية هذا الأمر إن دل فإنما يدل على الصراعات الداخلية والخارجية بين الأمم والشعوب وذلك بسبب إعراضها عن منهج رب العالمين.

قال تعالى:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾} [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

نظرة الإسلام إلى الأمن الغذائي:

الغذاء في نظر الإسلام هو صنو الرسالات السماوية في إقامة الحياة على الأرض وسعادة أبنائها.

فالله سبحانه وتعالى نزل الكتب وأرسل الرسل ليحكم حركة الحياة وفق منهجه وجعل الغذاء لتقوم به الحياة ولذلك فإن الحياة لا تقوم بدون الرسالات والغذاء وهذا ما يقرره القرآن الكريم في حق أهل مكة حتى أنعم عليهم (بعدم الجوع - الأمن).

قال تعالى:{لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ }
[قريش: ١ - ٤].

وقال تعالى على لسان الخليل إبراهيم:{رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾} [إبراهيم: ٣٧].

وعند ابن ماجة قال صلى الله عليه وسلم :{من أصبح منكم معافاً في جسده، آمناً في سربه، يملك قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها}.

أسباب ظاهرة الجوع:

الواقع يثبت ظاهرة الرأسمالية بين الأفراد وبين البلاد تجد من لا يملك رغيف الخبز وتجد من يملك كل وسائل الرفاهية منها:

- ما تفعله بعض الدول عندما تلقى أطنان الحبوب والثمار في المحيطات بحجة المحافظة والسيطرة على السوق والأسعار والتحكم في رقاب الناس.

- الكم الكبير الذي يلقى في سلة المهملات من الأثرياء.

- هذا مما أدى إلى التنازل عن الشرف والدين وآدمية الإنسان مقابل لقمة العيش.

- إهدار المليارات في إنتاج الرفاهيات التي لا طائل ورائها.

قال الله تعالى:{وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾} [النحل: ١١٢].

مفهوم الفقر: لا يعنى فقدان الطعام ولكن يمتد ليشمل سوء التغذية ولذلك فهو مرتبط بشكل رئيسي بحجم الدخل الإجمالي للفرد وما يحدث من حصار اقتصادي على بعض الدول النامية إنما هو صورة

بشعة من صور الجاهلية الأولى كما حدث في (شعب أبى طالب) والحصار الذي استمر مع بنى هاشم ثلاث سنين.

إن العالم اليوم أشبه بغابة يفترس فيها القوى الضعيف فلا قيم ولا أخلاق ولا رحمة.

فالإسلام حث على حفظ النفس وهو من الكليات الخمس.

الإسلام حث على السعي في طلب الرزق حيث قال ربنا:{فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ} [الملك: ١٥].

وقال:{ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ} [الجمعة: ١٠]، وقد بين القرآن الكريم أن من يقصر في إطعام المحتاجين جنباً إلى جنب مع من يكفر بالله قال تعالى:{إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾} [الحاقة: ٣٣ - ٣٤] وفي الحديث القدسي كما عند مسلم.

{يا ابن آدم استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما لو علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي}.

إن العالم اليوم تمزقت أوصاله وجفت منه أنهار الخير وأطلت عليه الجاهلية الأولى فعلينا بالمسارعة إلى شرع الله.

قال تعالى:{أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

* * *

من أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم

يقول الله تعالى: { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) } [الأنبياء: ٣٠].

{فَفَتَقْنَاهُمَا} فصلت السماء عن الأرض أصبح كوكباً مستقلاً بذاته.

يقول جل شأنه: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠)} [النازعات: ٣٠] جعلها كالدحية وهى البيضة عموماً وقد التقطت (مراكب الفضاء) صورة للأرض من على سطح القمر فكان شكل الأرض كالبيضة وهى حالكة السواد.

الشمس:

هي الجرم المتوهج وهى الجرم الرئيسي للحياة ومصدر كل الطاقات ويبعد عن الأرض بنحو (93) مليون ميل.

قال تعالى: {وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} [نوح: ١٦]، { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً } [يونس: ٥].

أما القمر:

فإنه جسم معتم يعكس ما ينصب عليه من أشعة الشمس التي هي في الأصل مصدر للحرارة والضوء قال تعالى: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا} [نوح: ١٦].

وقال أيضاً: { تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) } [الفرقان: ٦١].

فلفظ السراج ذكر أربع مرات: مرة في وصف الرسول صلى الله

عليه وسلم والثلاثة الأخريات في وصف الشمس فالرسول صلى الله عليه وسلم قد جمع بين صفات الشمس والقمر فإنه صلى الله عليه وسلم سراج منير.

ويقول ربنا:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾} [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

يقول القرطبي: هنا استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه وقيل (سراجاً) أي هادياً من ظلم الضلالة وأنت كالمصباح المضيء ووصفه بالإنارة لأن من السرج مالا يضئ.

يقول ربنا:{قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ } [المائدة: ١٥].

يقول ابن كثير: أي وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند.

قال ابن عباس لما نزلت:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ} [الأحزاب: ٤٥] دعا رسول الله معاذاً وعلياً فقال: انطلقا فيسرا ولا تعسرا فإنه قد نزل على وذكر الآية السابقة.

هذا مما جعل أحد علماء الغرب يحكى ما حدث له على سطح القمر.

يقول جيمس إدوين قائد مركبة (أبوللو) عندما هبط سنة 1971 على سطح القمر عندما ذهبنا هناك لم أكن في بادئ الأمر على يقين أن الله يمد إلينا يده ولكننا نجحنا بفضله وعندما عاد - ويبلغ من العمر 47 سنة - أخذ يدعو لدين الله وأن الأرض ما هي إلا مجرد ذرة يسيرة في هذا الكون - هذا مما جعلني أرى الله الذي سأشكره عند عودتي اعترافاً بفضله - ترى ماذا سيقول جيمس إدوين في مقالة

أبناء جنسه عن الصورة المظلمة التي التقطت للأرض من الفضاء وفيها بقعتان مضيئتان هما مكة والمدينة وكما ورد بجريدة الأهرام بتاريخ: 2004/3/3 ما يفيد أن الصورة التي أخذت من الفضاء بواسطة آخر رحلة أطلقتها وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) بدت فيها الأرض مظلمة كالمعتاد عدا بقعتين اثنتين ظهرتا مضيئتين بنور ساطع واضح والتقطت الصورة من عدة زوايا إلا أن هذين النورين موجودان.

يا سبحان الله!! في الوقت الذي يتعرض فيه الإسلام والمسلمون لهذه الحملة الشرسة وهذا الاضطهاد والظلم ومحاولات النيل منهم وتشويه صورة الإسلام [1]، ولا عجب أن تأتي هذه الرسالة من الأمريكان أنفسهم وهم الذين يظهرونها للدنيا... لا جدال أنها آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته ولا عجب فإن الله ينصر دينه ويؤيد دينه بالرجل الكافر.. وقد قيض الله لدينه قديما من يحفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم كالبخاري والترمذي وغيرهم آمنوا واهتدوا فهدوا الناس.

ومليحة شهدت دارها ::: والفضل ما شهدت به الأعداء

وصدق الله حيث قال:{ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ } [فصلت: ٥٣].

ولكن نقف مع الإعلام العربي والمصري التي لم يعط هذا الأمر حقه إلا مرة واحدة في برنامج (صباح الخير يا مصر) ولو كانت هذه الآية تخص غير المسلمين لقامت لها الدنيا ولم تقعد وسمع بها

(1) انظر كتاب القول المبين في تاريخ الكعبة ومسجد خاتم النبيين (محاولات إيذاء وسرقة جسد النبي صلى الله عليه وسلم) للمؤلف.

كل البشر وطبع أكثر من مائة مليون صورة ليشاهد الجميع أين الأزهر؟ أين المملكة العربية السعودية التي تحتضن البقعتين مما جعل الكثير يقرأ ويعتنق الإسلام وقد أضافت جريدة الصنداي تايمز أن الناس أقبلوا على الإسلام ونقول: إن الذي أنزل هذا الدين قادر على أن يحفظه حيث يقول ربنا:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ } [الحجر: ٩]، نعم الأرض كلها مظلمة إلا مكة لأن بها بيت الله الحرام وقبر الرسول الذي ما هذا الضوء إلا من الجسد المسجى في المدينة المنورة وجاء في وصف النبي أن وجهه كان يتلألأ كالقمر ليلة البدر ونور النبي ذاتي لا ينفك عنه أما القمر فإنه ينكسف وينخسف تارة وأخرى ويكفي المدينة شرفا أنها حوت النبي صلى الله عليه وسلم حياً ثم حوت جسده المسجى، قال تعالى:{وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾} [الرعد: ٤٣].

* * *

حال السلف في الحج

أصبح الحديث عن أحوال السلف في الحج حديث عن علم قد درس مناره ومحيت آثاره فلم يبق منه إلا أطلال من الجمل والعبارات التي تردد للناس حثاً على التمسك بما كان عليه السلف. الحج فيه تأثير عظيم في تزكية النفوس وإصلاح القلوب لما فيه من معاني العبودية ومظاهر الربانية التي تجلت في كل أعماله ومناسكه وإذا كان قد ورد عن بعض السلف أنه قال: الركب كثير والحاج قليل فما عسانا نحن أن نقول ونسأل الله ألا يمقتنا فما أحوجنا أن نعود إلى ما كان عليه السلف الصالح حتى نفوز بسعادة الدارين.

وقال مجاهد رحمه الله: صحبت ابن عمر في السفر لأخدمه فكان يخدمني.

وهذا ديدن كثير من السلف كعامر بن عبد قيس وعمرو بن عتبة بن فرقد مع اجتهادهما في العبادة كانوا يشترطون ذلك في أسفارهم.

حال السلف عند الإحرام والتلبية:

كانوا يستشعرون معنى الإحرام فهو يعنى عندهم الانخلاع من جميع الشهوات الأرضية والتوجه بالروح والبدن إلى خالق السماوات والأرض فكان أنس بن مالك رضى الله عنه إذا أحرم لم يتكلم في شئ من أمر الدنيا حتى يتحلل من إحرامه ولما حج جعفر الصادق فأراد أن يلبى تغير وجهه فقيل له مالك: فقال أريد أن ألبي وأخاف أن أسمع غير الجواب!!

لذا لما أضاف الله عز وجل ذلك البيت إلى نفسه ونسبه إليه بقوله عز وجل لخليله:{وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ} [الحج: ٢٦]، تعلقت قلوب المحبين

ببيت محبوبهم فكلما ذكر لهم ذلك البيت حنوا وكلما تذكروا بعدهم عنه أتّوا إليه، وقد رأى بعض الصالحين الحاج في وقت خروجهم فوقف يبكي ويقول واضعفاه ثم تنفس وقال: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت فكيف تكون حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت؟ فمنهم من كان يتعلق بأذيال الرجاء ومنهم من كان يغلب عليه الشوق والقلق ولكنهم يتساوون جميعاً في الذكر والدعاء.

وكان أبو عبيده الخواص يقول في الموقف: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه وكان بعدما يكبر يأخذ بلحيته ويقول: يا رب قد كبرت فأعتقني.

عبادة السلف في الحج:

ذكر الإمام ابن رجب رحمه الله أن من أعظم خصال البر في الحج إقامة الصلاة فمن حج من غير إقامة صلاة لا سيما إن كان حجه تطوعا كان بمنزلة من سعى في ربح درهم، كمن وضع رأس ماله وهو ألوف كثيرة وقد كان السلف يواظبون في الحج على نوافل الصلاة وقد حج مسروق فما نام إلا ساجداً وينبغى للحاج أن يحافظ على عمله ويتجنبه من الرياء والسمعة والمباهاة والمفاخرة [1].

حال السلف في عرفات:

روى الفضيل أنه نظر إلى نشيج الناس وبكائهم عشية عرفة فقال: أرأيتم لو أن هؤلاء قصدوا إلى رجل واحد يسألونه دانقاً - يعنى سدس درهم - أكان يردهم قالوا: لا، قال: والله للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق.

وإني لأدعو الله أسأل عفوه وأعلم أن الله يعفو ويغفر.

---

(1) لطائف المعارف.

حال السلف في الطواف:

من العبادات التي تطلب في حال الطواف غض البصر لوجود النساء مع الرجال أثناء الطواف قال ابن الجوزي: اعلم أن غض البصر عن الحرام واجب ولكم جلب إطلاقه من آفة وخصوصاً في زمن الإحرام وكشف النساء وجوههن فينبغي لمن يتقى الله عز وجل أن يزجر هواه في مثل ذلك تعظيماً للمقصود وقد فسد كثير بإطلاق أبصارهم هنالك.

قال ابن المحب الطبري: ومن المنكر الفاحش ما تفعله الآن نسوان مكة وغيرهن في تلك البقعة ليالي الجمع وغيرها من الاختلاط بالرجال ومزاحمتهن لهن في تلك الحال مع تزينهن لذلك بأنواع الزينة واشتغالهن عند إتيانه بما يوجب الروائح العطرة فيشوش بذلك على متورعي الطائفين ويجتلبن بسبب استدعاء نظر الناظرين وربما طافت إحداهن بل أكثرهن بغير جوربين ويشق على الناس الاحتراس من ملامستهن في بعض الأحايين وهذه مفسدة عظيمة عمت بها البلوى وتواطأ الناس على عدم إنكارها فينبغي للعبد أن ينزه طوافه عن كل ما يوجب شيئاً من ذلك ولا يأمن عقوبة سوء الأدب وفحش المخالفة هناك.

يقول ابن القيم:

أما والذي حج المحبون بيته ::: ولبوا له عند المنهل وأحرموا
وقد كشفوا تلك الرءوس تواضعا ::: لعزة من تعنو الوجوه وتسلم
يهلون بالبيداء لبيك ربنا ::: لك الملك والحمد الذي أنت تعلم
دعاهم فلبوه رضا ومحبة ::: فلما دعوه كان أقرب منهم
ولما رأت أبصارهم بيته الذي ::: قلوب الورى شوقاً إليه تضرم

- الأضحية وقيمة التضحية: تظل قصة الفداء درساً بليغاً

في الالتزام بأمر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم من حديث أم سلمة رضى الله عنها:{إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره لا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئاً حتى يضحي}.

الحكمة في ذلك تشبيها بالمحرم وليدخل بهذا التشبيه جو الإحرام من أول يوم ثم هو إبقاء على كل أجزاء الجسم رجاء أن يعتق الجسم كله من النار وهكذا إذا قعدت بالناس أقدارهم فلن يكونوا هناك في حمى البيت العتيق فليكونوا هناك بقلوبهم ليتحقق معنى الوحدة الإسلامية في أوفي معانيها.

قيمة التضحية: تبدو ذلك قيمة التضحية من خلال هذه الآداب أنك تفعلها لله ومن أجل الله ومرضاة لله:{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾} [الأنعام: ١٦٢]، وهذا يدل على عمق إيمان المضحى أما غير القادر فإن الإسلام يسامحه شريطة ألا يكون راغباً عنها زاهداً وإنما هو على ما قيل (العين بصيرة واليد قصيرة وفي قلبه شوق فياليته كان مع المضحين فيفوز فوزاً عظيماً).

الأضحية وبشائر النصر: إن في الأضحية وما ضمت عليه من قيمة التضحية ما يبشرنا بنصرنا على عدونا، إن قيمة التضحية المغروسة في ضمير أمتنا لهى سلاح النصر الذي هو آت لا ريب فيه.

الأضحية ليتنا نقتل فيها ونضحى بالكسل والرياء وأفعال الشر [1].

(1) من مقال للدكتور/ محمود عمارة.

وعند الترمذي من حديث عائشة:{ما عمل ابـن آدم مـن عمـل يـوم النحـر أحب إليه من إهراق الدم إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأطلاقها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً}.

* * *

الدنيا ساعة فاجعلها طاعة

فإن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة ومهما عظمت فهي حقيرة، عمر الإنسان فيها يحسب بطاعته لله وليس بعدد سنينه حي أن خير الناس من طال عمره وحسن عمله وإذا مات الإنسان قامت قيامته فإن كان من أهل الصلاح فهو إلى جنة أبداً وإن كان من أهل المعصية فهو إلى نار أبداً والذي يتدبر قصص القرآن الكريم يرى أن الدنيا على سعتها وعلى طولها ما هي إلا ساعة والعاقل من الناس من يجعلها في طاعة يستبين لنا ذلك من خلال القصص القرآني حيث جاء مفهوم هذا الأمر من خلال الحديث عن قصتين من قصص القرآن.

القصة الأولى: في سورة البقرة عن العزير بن جروه.

يقول تعالى:{ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾} [البقرة: ٢٥٩].

كان أول شئ أحياه الله عينيه لينظر بهما إلى صنع الله فيه كيف يحيى بدنه فلما استقل سوياً قال الله بواسطة الملك: (كم لبثت...) وذلك أنه مات أول النهار ثم بعثه الله آخر النهار فلما رأي الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم فقال (أو بعض يوم) (قال بل لبثت

مائة عام...) وذلك أنه كان معه (عنب وتين وعصير) فوجده لم يتغير منه شئ.

القصة الثانية: قصة أهل الكهف:

قال تعالى:{ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥)} [الكهف: ٢٥] هذا كما قرر القرآن الكريم وإن كانوا قد استقصروها هم كما حكى القرآن:{ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } [الكهف: ١٩].

قال ابن كثير: انظر كيف مرت عليهم هذه السنون.

لأنه كان دخولهم إلى الكهف أول النهار واستيقاظهم آخر النهار ولهذا قالوا أو بعض يوم فهذه السنون وهى الثلاثمائة والمائة عند العزير وكلاهما من أهل الإيمان وكلها تعد مدة من حياة مجموعة من أشخاص او شخص واحد وهو عزير وكذلك الدنيا هي (عدة أيام).

قال تعالى للكفار على سبيل التبكيت والتوبيخ:{قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣)}

[المؤمنون: ١١٢ - ١١٣]، وقال أيضاً في سورة الروم عن لمجرمين:{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥)} [الروم: ٥٥]، هذا حال أهل الإيمان، يوماً أو بعض يوم، لذا إذا كانت القيامة (ابن كثير الجزء الثالث ص 252 251)، ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار سأل رب العزة كل واحد على حدة كم لبثتم في الأرض عدد سنين يقولون يوماً أو بعض يوم

يحكم لأهل الجنة الرحمة والرضوان والمغفرة ولغيرهم بالسخط واللعنة ومكث كل في مكانه وهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم يقول:{ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها} الفتح للحافظ.

وبين صلى الله عليه وسلم قصر الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم :{والله ما الدنيا والآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه وأشار بالسبابة في اليوم فلينظر بم يرجع}.

وأجل أمة النبي قصير (الفتح عن ابن عمر).

(ما أجلكم في أجل من كان قبلكم إلا من صلاة العصر إلى مغرب الشمس وإذا كانت الدنيا ساعة فلتكن في طاعة لقول النبي صلى الله عليه وسلم قال:{أتاني جبريل فقال يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به}.

التوحيد أعظم الأعمال (البطاقة والسجلات):

ولما رواه الترمذي قال الله تعالى:{يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة} (شبهة) والرد عليها ساعة لقلبك وساعة لربك (حديث حنظلة والصديق) قال صلى الله عليه وسلم :{والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة} ثلاث مرات، رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم في التاريخ الكبير (لو أن رجلا يجثو على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله لحقره يوم القيامة).

أغلق المحمول... واتصل بالله

المساجد بيوت الله في أرضه فيها يعبد الله؟ إليها يهرع الناس عند نزول الشدائد بهم والمساجد لها حرمتها ولها قدسيتها ولا يتطاول أحد على بيت من بيوت الله بصورة أو بأخرى إلا وعليه من الله ما يستحق وبهذا الأمر يكون العبد على خطر جسيم يستوجب منه أن يقف وأن يفكر كثيراً.

أغلق جهاز المحمول:

في الآونة الأخيرة انتشر (الهاتف النقال. الجوال. الموبايل. المحمول) على اختلاف مسماه بنغماته الموسيقية المتنوعة والمتعددة في بيوت الرحمن كأننا في الأسواق تعلو الأصوات وتكثر الرنات وتتعدد المكالمات وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ارتفاع الأصوات والمنازعات في المساجد.

عند أبى داود قال صلى الله عليه وسلم :**{لا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيشات الأسواق}** فهذه النغمات تخرجنا من خشوعنا في الصلاة وتفقدنا الصواب.

ومن باب التذكرة كما قال ربنا (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) ويقول ربنا في سورة الأعراف:{وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾} [الأعراف: ٢٠٤]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته وإعظاماً له واحتراماً لا كما كان يتعمده كفار قريش المشركون في قولهم:{لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟

فِيهِ} [فصلت: ٢٦] وقال تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾} [المؤمنون: ١ - ٢].

قال ابن كثير رحمه الله: أي قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون المنصفون لهذه الأوصاف (خاشعون) خائفون ساكنون ويكون الخشوع لمن فرغ قلبه لها عن سواها.

قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد:{**وحبب إلي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**} قال تعالى:{ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ} [الزمر: ٢٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز القهار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف فسماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات.

أما آن لكم أن تعلموا يا أصحاب المحمول أنكم في بيوت الرحمن فلا تجهلوا.

أما آن لكم يا أصحاب المزمار أن تعقلوا أنكم بالسكينة والخشية تفلحون.

يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد: (مالي أنازع القرآن) لأن واحدًا من الناس قرأ مع الإمام فما بالنا بنغمات الشيطان في بيت الرحمن.

قال تعالى:{إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾}

[النحل: ١٠٠]، قال تعالى:{فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾} [الزمر: ١٧ - ١٨].

وبذلك تتضح لنا خطورة صوت المحمول في المساجد وخطره الجسيم على أداء العبادة وقبولها عند الله عز وجل في علاه أما ما كان عن الخطأ والنسيان فلا يؤاخذ الله به. قال صلى الله عليه وسلم :{رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه}.

و:{ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها}.

قال تعالى:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ} [الحديد: ١٦].

* * *

الحلقات القرآنية

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده}.

الحلقة القرآنية: هي اجتماع في بيت من بيوت الله أو في أي مكان طاهر مَرْضِيّ لتدارس القرآن الكريم مدة من الزمن.

نشأة الحلقات القرآنية: مع انتهاء العام الدراسي تتوجه الأنظار إلى المساجد بأولادنا من أجل أن يقوموا بدراسة القرآن الكريم.

حلقة القرآن في غار حراء: أول حلقة تشرف الكون بانعقادها كانت حين بزغ أول شعاع من أنوار الإسلام لتعقد أول حلقة قرآنية في الأرض الحلقة النور بين الأمينين - جبريل ومحمد - ولتبدأ السنة الأولى من البعثة النبوية (أول ما بدأ به الرسول من الوحى الرؤيا الصالحة في النوم... ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث وهو التعبد فيه الليالي ذوات العدد (محاورة جبريل اقرأ. ما أنا بقارئ) ثم تعددت أماكن اللقاء بعد ذلك وتنوعت أزمنته وأشكاله خلال ثلاث وعشرين سنة ثم يتنزل صدر سورة العلق على رسول الله في بداية الوحى فكان الصحابة يأخذون دور النبي صلى الله عليه وسلم في استقبال الآيات ويأخذ النبي صلى الله عليه وسلم دور جبريل في تلقينهم ما نزل من عند الله سبحانه وتعالى وكانت دار الأرقم بن أبى الأرقم من أولى الأماكن التي تشرفت بهذا الفضل.

وكان من كُتَّاب الوحي معاوية وزيد بن ثابت، ومن حفاظ الصدور ابن مسعود الذي قال: أخذت من فيّ (فمه) رسول الله سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد) البخاري.

ثم تأتى المرحلة الثانية، حلقات القرآن بالمدينة، فقد كان انتشار هذا النور أوسع فأهلها هم الأنصار الذين فتحوا قلوبهم للذكر والتنزيل وأسلموا أرواحهم فداء له.

مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام:

عقد أول حلقة قرآنية مع أسعد بن زرارة الخرجي حتى سمى عند أهلها بالمقرئ.

حينما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أخذ يعلم أهل الصُّفَّة.

وفي حديث البخاري:{بلغوا عنى ولو آية} أثار همم الصحابة وشحذ عزائمهم في المسارعة إلى اكتساب الخير ونشره وامتلأ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلقات الإقراء يفتتحها النبي صلى الله عليه وسلم وفي السنة الرابعة من هجرته المباركة مات سبعون من الصحابة على الصحيح كانوا يسمون بالقراء إلى خارج المدينة لنشر القرآن وتعليمه فقتلوا رضوان الله عليهم ببئر معونة وقنت صلى الله عليه وسلم يدعو عليهم قبل الركوع وقد كانت السيدة عائشة تبعث إلى ابن عمر في الكُتَّاب أن ابعث إليَّ غلماناً دلالة على وجود الكتاب والإقبال عليه.

قال القرطبي: لقد قتل يوم اليمامة زمن الصديق فيما قتل سبعمائة من القراء.

وقال صلى الله عليه وسلم :{خيركم من تعلم القرآن وعلمه} فالخيرية من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والذي يتجرأ على صاحب القرآن فكأنما يتجرأ على الله:{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)} [فاطر: ٣٢].

الظالم لنفسه يتلو القرآن ولا يعمل به (مقتصد) أي متوسع في فعل الخيرات والصالحات يعمل في أغلب الأوقات وينصرف في بعض الفترات سباق في العمل بكتاب الله.

* المؤامرة على القرآن في (مجلس العموم البريطانى) حيث خوفهم من وجود القرآن.

ولن تقوم لكم قائمة، فقام أحدهم ومزقه. قال بل منقوش في قلوبهم وقلوب صبيانهم.

* * *

فرصة من ذهب

أخي المسلم. أخي المصلى فرصة ذهبية، نعم فرصة ذهبية أو فرصة من ذهب النفس بطبيعتها تميل إلى الغالي والنفيس لذا جبلت النفس على حب الذهب وعلى الاستحواذ عليه لذا كان تعبير القرآن عن نعيم أهل الجنة: {يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [فاطر: ٣٣].

قال صلى الله عليه وسلم :**{لو كان لابن آدم وادياً من ذهب لتمنى أن يكون له واديان ولو كان له واديان لتمنى أن له ثالثًا ولا يملأ جوف بـن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب}**.

ولم يقل من (لؤلؤ أو زبرجد أو ياقوت أو مرجان) لأن الذي يغلب على الناس في استعماله هو الذهب فهو عزيز وحبيب إلى النفس فهو شئ نفيس وثمين ولذا كانت الزكاة الشرعية في الذهب دون غيره من سائر الأحجار الكريمة.

السؤال الأول: (أتحب أن تكسب آلاف الحسنات كل يوم دون أن تدفع شيئاً) الفرصة حسية وليست معنوية وإن لم يكن الذهب في يدك فلو كان في يدك فلربما ينفق في غير موضعه أو يهلك أو يسرق.

ولكن:{ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ } [النحل: ٩٦]، حينما تقرأ كتابك:{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا} [آل عمران: ٣٠].

تكسب آلاف الحسنات كيف؟

دفع الشيء يكون ثقيلاً على النفس وفيه بعض النفور لذا فإننا لا نأخذ

شيئاً ولكن نكسب آلاف الحسنات.

روى الترمذي من حديث ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسن والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف}.

ادفع بولدك ليتعلم القرآن في المسجد ففي صحيح مسلم من حديث أبى هريرة:{ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة...} إذًا (بسم) ثلاثون حسنة... وعطاء الله لا يحد بحدود.

هل تحب أن ترتدى ثوباً من نور يوم القيامة؟

عن بريدة رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم :{من قرأ القرآن وتعلم وعمل به ألبس والده يوم القيامة تاجاً من نور ضوؤه مثل ضوء الشمس ويكسى والده حلتين لا يقوم لهما الدنيا فيقولان بم كسينا هذا؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن}.

أتريد أن يشفع لك ولدك يوم الحساب؟

عند الإمام مسلم من حديث أبى أمامة الباهلي سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول:{اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه} قال صلى الله عليه وسلم : {الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة وجاء في بعض روايات الحديث أن قارئ القرآن يشفع في عشرة من أهله كلهم وجبت لهم النار} رواه ابن ماجة والترمذي من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه.

هل تريد أن تكون في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة؟

عن عثمان بن عفان فيما رواه البخاري ومسلم قال صلى الله عليه وسلم :{خيركم من تعلم القرآن وعلمه}.

أفضل الخلق على الله هو رسول الله والنبي صلى الله عليه وسلم خص بالخيرية من أمته من تعلم القرآن حفظًا وعمل به وعلمه للناس (يصل إلى الفردوس مع النبي صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن ماجه والحاكم من حديث أنس:{إن لله أهلين من الناس} قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال:{هم أهل الله وخاصته}.

عند الترمذي وأبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال صلى الله عليه وسلم :{يقال لصاحب القرآن اقرأ ورتل وارتق كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها} ولذا قال الخطابي كما جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة - عدد آي القرآن 6236 فكلما زاد العبد في القراءة ارتقى إلى درجة أعلى.

قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الحاكم من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال:{فمن قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه} استدرج أخذ في وجودها وبذلك يكون وجودها وبذلك يكون قارئ القرآن في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم.

* * *

مع ذكريات شهر رجب

لشهر رجب في التاريخ الإسلامي شأن عظيم حيث هناك من الذكريات الإسلامية والأحداث التي وقعت في هذا الشهر المبارك.

التسمية:

رجب سمى بذلك من الترجيب وهو التعظيم والترحيب والجمع (أرجاب. رجاب. رجبات. رجوب. أراجب. أراجيب. أرجبة).

شهر رجب من الأشهر الحرم:

قال تعالى:{ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ } [التوبة: ٣٦]، وعند البخاري من حديث أبى بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال:**{ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان}** ثلاثة سرد لأداء الحج وواحد فرد لأداء العمرة ورب العزة طلب من المسلمين تعظيم هذه الأشهر فلا يستحلوا شيئاً من حرماتها قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ } [المائدة: ٢].

فالأشهر الحرم فترة أمان وراحة وسلام وإسراء روح السكينة والإسلام دين الأمن والسلام.

والأشهر الحرم لا يجوز فيها القتال ولا الغزو مطلقاً إلا في حالة رد العدوان قال تعالى:{ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ } [البقرة: ١٩٤]، ومن الأحداث التي

حدثت في هذا الشهر الذي يدل على أيام الخير واقتراب الرحمات والنفحات وهى أيام رمضان.

الهجرة للحبشة في شهر رجب:

في شهر رجب من السنة الخامسة من البعثة النبوية أمر محمد أصحابه بالهجرة إلى الحبشة لأن الأذى لم يكن قاصراً على النبي صلى الله عليه وسلم بل امتد إلى أصحابه فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه:{**لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه**} قال تعالى:{ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾} [النحل: ٤١].

وهذه الآية تشير إلى هجرة المسلمين إلى بلاد الحبشة وهى أول آية نزلت في مكة تذكر بالهجرة.

من الأحداث (غزوة تبوك) سميت بذلك لأنه وقت جني الثمر فشق عليهم ذلك كانت في شهر رجب من السنة التاسعة من الهجرة وتبوك مكان معروف في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق الشام تقريباً وتسمى أيضاً بغزوة العسرة وسببها أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام ضمت عدة قبائل وكان قائد الروم هرقل يريد الهجوم على المدينة والقضاء على الدولة الناشئة في جزيرة العرب لما وصله من أخبار وأصابه من خوف وهلع فحث النبي صحابته على الخروج وكان هذا الوقت وقت عسر وشديد الحر ودعا النبي الأغنياء لتجهيز الجيش فجاء أبو بكر بماله وعمر بنصف ماله وعثمان جاء بنفقة لتجهيز جيش تبوك وأثنى النبي عليه ورفع من

قدره حين جاء عثمان بأموال كثيرة في ثوبه، وسار الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه ألف رجل ومعهم عشرة آلاف من الخيل واثنا عشر ألف بعير وأقام النبي صلى الله عليه وسلم عند تبوك نحواً من عشرين ليلة ولم يلق فيها كيدا وبشر النبي فيها أصحابه بغنيمة فارس والروم وان أهلها سيكونون قوة لها في الإسلام وفي هذه الغزوة نزل قوله:{ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ } [التوبة: ١١٧]، الثلاثة الذين خلفوا (كعب بن مالك، هلال بن أمية، مرارة بن الربيع).

درس عملي تطبيقي:

أثناء مرور النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجى وجهه واستحث راحلته وأمرهم ألا يشربوا من هذا الماء إلا من بئر الناقة وأنهم إذا ما دخلوا ديار الظالمين بكوا ودعوا الله ألا يأخذهم كما أخذهم.

من نتائج هذه الغزوة: إرهاب الرومان وإلقاء الرعب في نفوسهم حتى لا يفكروا في أي نشاط حربي من شأنه الكيد بالإسلام والمسلمين ولم يرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلا وأهل تلك الجهات خاضعون للإدارة الإسلامية ومن النتائج أيضاً:

أصبح المسلمون يعتقدون أنهم يستطيعون محاربة الروم في ديارهم والقضاء على جيوشهم وحقق ذلك مكسباً إعلامياً كبيراً للدعوة الإسلامية وألقى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك روح العزة في القبائل العربية التي كانت تهاب بلاد الشام.

من أحداث شهر رجب (التوحيد):

- وقعة اليرموك سنة 15 هـ.
- غزوة الرشيد لبلاد الروم سنة 190 هـ.
- عدم تخصيص شهر رجب بعبادة.
- بدعة تخصيص شهر رجب بصيام أو صلاة.

من أحداث هذا الشهر: الإسراء والمعراج وتفاصيلها في كتب السيرة النبوية والمشهور أنها وقعت بعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف وقبل الهجرة إلى المدينة وذلك في ليلة الإثنين الموافق 27 من رجب في العام العاشر للبعثة وعليه عمل الناس وكانت بمثابة أن يستعد الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الرحلة لمرحلة كفاح جديدة تبدأ بالمدينة المنورة وكان من المناسب أن يكون الإسراء والمعراج قريباً من الهجرة ليمحص الله تعالى من النفوس ويقوى العزائم ويميز بين الخبيث والطيب وحدث الإسراء والمعراج حدث تكريمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفوق قدرات وعقول البشر.

وحدث الإسراء والمعراج فيه ربط الجزيرة العربية بالشام وهذا ما يؤكد وحدة المسلمين ويوثق العلاقة التي تجمعها على أساس الإيمان وفيه دلالة على أن جوهر الرسالات واحد وهو توحيد الله رب العالمين.

* * *

الموروث الثقافي في ميزان الإسلام

جاءت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم متممة ومكملة لما جاء به من سبقه من الأنبياء مبينة وموضحة ومبدلة لبعض التشريعات ومنهج الإسلام في المعاملة: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣]،{وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب: ٧٠]، إلا أن هناك الموروث الثقافي ما توارثوه جيلاً عن جيل في حياة الأمم والشعوب حتى في أمة الإسلام لم تتحرر منه بالكلمة إنما العادات والبيئة له الدور الفعال في ذلك.

المرأة هي السبب في إخراج آدم من الجنة:

جاء بيان القرآن بقوله:{ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾} [الأعراف: ٢٠] وجعلوا كيدها عظيماً عن الشيطان.{إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} [يوسف: ٢٨]،{إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء: ٧٦]. من كلام ذي القرابة القريبة الذي استخدم أسلوب الأدلة الجنائية لإثبات التهمة وانتهى إلى براءة يوسف ولا يعمم هذا الحكم إلا من سلكت نفس المسلك وصيغة الجمع هنا للتعظيم لأنها امرأة العزيز لابد أن تخاطب بأسلوب التعظيم.

– الذبح وختم البيوت وتلطيخها بالدم ثم تطورت وصنعت اليد الحديدية أو البلاستيكية وأصبحت تعلق على مداخل الشقق والعمارات يظن اليهود بذلك أن الحق طلب من موسى أن تذبح كل أسرة خروف من بنى إسرائيل وأن يختموا بها القائمتين والعتبة فإذا نزل الرب هدم بيوت المصريين ونجى بنو إسرائيل فنزل الرب

وفعل ذلك على زعمهم ومن هنا ظن المصريون هذا وفعلوا وظل الأمر حتى بعد دخول الإسلام. (سفر الخروج (21 - 2 - 12) ومن صفات السبعين ألف:{هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون}.

يوم الجمعة وساعة النحس: لأن اتباع نبى من الأنبياء مات شر ميتة في يوم الجمعة كفارة عن خطايا البشر نرى كثيرا لا يسافر - لا يعمل - لا يزرع - وأشار القرآن إلى العمل قبل وبعد الصلاة:{إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ} [الجمعة: ٩].

الحديث في يوم الجمعة ساعة إجابة فيها الاستجابة.

ما نراه على أبواب الصيدليات (سفر العدد (21 - 8 - 10)

الثعبان الذي ينفث سماً في كأس وهو ملفوف حول زراع الكأس هذه الصورة أصلها واردة في التوراة المزعومة فقد ورد في التوراة كما يزعمون أن الرب أمر موسى عليه السلام قائلاً: (أصنع لك فيه محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا فوضع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا.

ما يقوم به بعض الأغنياء بالذبح عند موت أحدهم (يسمى كفارة) يمر النعش من فوقها ثم توزع على الفقراء كانوا يعتقدون أن البعث بعد الموت وكان يرى لضرورة داعية إلى ركوب دابة إلى أرض المحشر فكان يوصى أولاده عند الوفاة أن يقوموا بذبح دابة من خير دوابه وأن هذه الدابة ستبعث مع الميت بدلاً من أن يذهب ماشياً على قدميه إلى أرض المحشر. وبعد نرجو أن ننتقل من ثقافة الإنهزام إلى

ثقافة العزة ومن السلبية إلى الإيجابية ومن اليأس إلى الأمل ومن النفاق إلى الإيمان ومن الضياع إلى الشعور بالذات ومن فقدان الثقة إلى استعادة الثقة وصدق الله حين يقول:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ} [الرعد: ١١]، وختاماً فهناك العديد والعديد من الموروثات الثقافية التي لها أكبر الأثر في حياة الأمم والشعوب منها ما يتفق مع الدين وأكثرها أبعد ما يكون [1].

* * *

(1) من مقال الدكتور بكر زكى عوض (مجلة منبر الإسلام).

التجارة في ميزان الإسلام

من المعلوم أنه يلزم لقوام وبقاء حياة الإنسان على الأرض تحقيق احتياجاته الرئيسية من مأكل ومشرب ولبس ومسكن ولا يتحقق في الحال الغالبة لدى البشر لكن البعض يسعى إلى كماليات يتزين بها عند الضرورات وتتحقق الرفاهية في الإنسان ويحصل الإنسان على ما يحتاجه من ضرورات بواحدة من هاتين الوسيلتين ولكن لهما ثالث ولكن لهما ثالث القهر: من القوى للضعيف وبه يستولي على ما يحتاجه بطريق النصب أو الاحتيال وتدخل السرقة في هذا المعنى أيضاً وهذا أمر لا يتوافق مع الإنسانية ورقيها ولكنه أسلوب أشبه بحال الغابة.

الهبة: وتوجد في عالم المثاليات الإنسانية إذ يعين القوى الضعيف ويساعد الغنى الفقير وهذا ما تهدف إليه مكارم الأخلاق وتدعو إليه عزائم الدين انطلاقاً من هذه القاعدة (حب لأخيك ما تحب لنفسك) لذا كانت الوسيلة الثالثة وهى كل ما يحتاجه الإنسان بمقابل مالي (بيعاً وشراءً) وبمقابل سلعي (مقايضة) ولهذا كان السبب في نشأة التجارة عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**} (الجامع الصغير). وفي رواية ابن ماجة (التاجر المسلم) وقد وردت التجارة في القرآن الكريم في مواضع متعددة إلا أنها في كل موضع يختلف المعنى من حال إلى آخر حسب المدلول ويمكن إجمالها تحت نوعين: الأول: التجارة مع الله في امتثال الأوامر واجتناب النواهي وقد أشار القرآن إلى هذا النوع في ثلاثة مواضع:

– تجارة المجاهدين في سبيل الله بالروح والنفس والمال قال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾} [الصف: ١٠].

– تجارة قراءة القرآن ومدارسته: قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾} [فاطر: ٢٩].

– تجارة الانشغال بالله عن كل ما سواه: قال تعالى:{ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ } [النور: ٣٦]، والتجارة بهذا القصد هي التجارة الرابحة التي لا خسران فيها ويتضح ذلك من خلال حسن الجزاء وعظيم الثواب عقب كل نوع من هذه الأنواع.

– النوع الثاني: التجارة لأغراض دنيوية وأشار القرآن إلى هذا النوع في ثلاثة مواضع:

– تجارة المنافقين والمبطلين قال تعالى في سياق تقسيم الناس مؤمنهم وكافرهم:{ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾} [البقرة: ١٦].

– تجارة عباد الدنيا بتضييع الأعمار باستزادة الثروة والمال دون مراعاة مشروعية الاستزادة والانشغال لها عن التكاليف الدينية والواجبات الخلقية والاجتماعية:{لن تزول قدما عبد يوم القيامة...} قال تعالى:{وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا} [الجمعة: ١١].

– لا بارك الله في عمل يلهى عن الصلاة كل عمل يلهى عن الصلاة فهو عبادة للشيطان.

- التجارة في معاملة الخلق بيعاً وشراءً وتحقيق التبادل المنفعي بين الناس بتوفير الاحتياجات اللازمة للحياة قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ} [النساء: ٢٩].

قال تعالى:{ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ } [الجمعة: ١٠].

وهى من باب التعاون:{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ } [المائدة: ٢]. وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى السوق فرآهم يتساومون ويتبايعون فاستمع إليهم بعد أن رأي صور المبيعات فقال:{**يا معشر التجار - فانتبهوا لنداء النبي صلى الله عليه وسلم - إن التجار يبعثون يوم القيامة فجار إلا من اتقى الله وبر وصدق**} (تدبر الحديث. الحلف. الكذب. التدليس)، قوله:{**من غشنا فليس منا**}،{**اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة**} اعلم أن المستشار مؤتمن.

احتكار السلع وغلاء الأسعار قال صلى الله عليه وسلم :{**من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه**} في حين أن الله لم يعلن البراءة في القرآن إلا من المشركين قال تعالى:{ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ} [التوبة: ٣].

علة الكل والميزان:{وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢} [المطففين: ١ - ٢].

{فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ } [الأعراف: ٨٥].

اتصف التجار بصفات حميدة.

من صفات الرسل التي وصفوا بها.

تجارة الأنبياء والعلماء وأهل الصلاح قال تعالى:{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾} [النساء: ٦٩].

فهل من متعظ؟!

* * *

حكم الاحتفال بشم النسيم

فإن هناك أمورًا استحدثها الناس في دنياهم ومشوا على منهجها مع أن فيها مخالفات عقائدية تمس عصب الدين منها الاحتفال بشم النسيم.

الأعياد في الإسلام ثلاثة:

- عيد الفطر عقب انتهاء فريضة الصيام.
- عيد الأضحى عقب الحج.
- عيد أسبوعي وهو يوم الجمعة وهو عطية من الله للمسلمين.

نشأة عيد شم النسيم: كان للمصريين القدماء أعياد كثيرة منها أعياد الزراعة التي تتصل بمواسمها والسنة الشمسية عندهم ثلاثة فصول كل فصل أربعة أشهر وهى فصل الفيضان ثم فصل البذر ثم فصل الحصاد ومن أعيادهم شم النسيم.

سبب التسمية [1]:

ترجع التسمية إلى الكلمة الفرعونية (شمو) ويرمز بها عند القدماء المصريين إلى بعث الحياة وكانوا يعتقدون أن ذلك اليوم هو اول الزمان وفيه بدأ خلق العالم وأضيفت كلمة النسيم إليه لارتباط هذا اليوم باعتدال الجو حيث فصل الربيع وترجع بداية الاحتفال به بشكل رسمى 2700 ق. م.

والاحتفال بالربيع كان معروفاً عند الأمم القديمة من الفراعنة والبابليين والأشوريين يسمى عيد ذبح الخروف وعند اليهود (عيد

---

(1) نقلاً عن مجلة التوحيد الإسلامية القاهرية، وكتاب هداية المرشدين (للشيخ على محفوظ)، وفتوى للشيخ عطية صقر رحمه الله رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

الفصح) وعند الرومان عيد القمر.

العلاقة بين عيد الفصح عند اليهود وشم النسيم: نقل بنو إسرائيل عيد شم النسيم عن الفراعنة لما خرجوا من مصر وقد اتفق يوم خروجهم مع موعد احتفال المصريين بعيدهم واحتفل بنو إسرائيل بالعيد بعد خروجهم ونجاتهم وأطلقوا عليه الفصح يعنى الخروج، أو العبور كما اعتبروا ذلك اليوم يوم بدء الخلق عند الفراعنة بداية لسنتهم الدينية العبرية تيمناً بنجاتهم وبدء حياتهم الجديدة.

* العلاقة بين عيد القيامة عند النصارى وشم النسيم: لما ظهرت المسيحية في الشام احتفل النصارى بعيد الفصح مثل اليهود ثم تآمر اليهود على صلب المسيح وكان ذلك يوم الجمعة 7 من أبريل سنة 30 م الذي يعقب عيد الفصح مباشرة فاعتقد المسيحيون أنه صلب في هذا اليوم وأنه قام من بين الأموات بعد الصلب ومنهم من احتفل باليوم الذي قام فيه حتى جاء قسطنطين الأكبر وأنهى الخلاف سنة 325 م وقرر توحيد العيد على أن يكون في أول أحد يكون القمر بدرا في الاعتدال الربيعي أو يعقبه مباشرة وحسب الاعتدال الربيعي وقت ذاك فأصبح عيد القيامة على زعم النصارى في أول أحد يكون القمر بدراً وبعد هذا التاريخ أطلق عليه اسم عيد الفصح المسيحي تميزاً له عن عيد الفصح اليهودي.

عقيدة المسلم في عيسى بن مريم:

يجب على كل مسلم أن يعتقد ويوقن بأن عيسى ابن مريم هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الله قد رفعه حياً بجسده إلى السماء وسوف ينزل في آخر الزمان فيقتل المسيخ الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل من الناس إلا الإسلام ويعمل بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا ثابت في القرآن الكريم عن

قول اليهود.

قال تعالى:{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾} [النساء: ١٥٧ - ١٥٩].

* أطعمة شم النسيم التي تؤكل فيه له أطعمة خاصة ترتبط بخرافات منها (بيض شم النسيم) يعتبر البيض الملون مظهراً من مظاهره وترجع فكرة صبغ البيض باللون الأحمر عند النصارى أي رغبتهم في أن يتذكروا دائماً دم المسيح الذي سفكه اليهود على حسب زعمهم واعتقادهم المناقض للقرآن والسنة.

- **الفسيخ**: كان الفراعنة يقدسون النيل ويعتبرونه نهر الحياة ويعتبرون أن الحياة في الأرض بدأت في الماء ويعبر عنها بالسمك الذي تحمله مياه النيل.

- **البصـــل**: كان قدماء المصريين يعتقدون أن البصل يطرد الأرواح الشريرة.

- **الخس**: كانوا يعتقدون أنه من النباتات التي تعلن عن حلول الربيع باكتمال نموها ونضجها واعتبروه من النباتات المقدسة الخاصة بإله التناسل.

- **الحمص**: هي ثمرة الحمص الأخضر ويعتبرون نضجها إعلاناً عن ميلاد الربيع.

- **حكم الاحتفال به**: قال الشيخ على محفوظ رحمه الله عضو هيئة كبار العلماء بمصر ما ملخصه يوم شم النسيم وما أدراك ما شم

النسيم هو عادة ابتدعها أهل الأوثان لتقديس بعض الأيام تفاؤلاً به فترى المخالطات والفجور والفسق ترى ما يرضى الشيطان بحجة الرياضة واستنشاق الهواء ومشاهدة الأزهار فهي أمور مباحة في كل آن لا في ذلك اليوم تحديداً فعلى من يريد السلامة لدينه ونفسه وأهله ألا يتشبه باليهود والنصارى ولا يشاركهم في ذلك. (أ. هـ).

فتوى الشيخ عطية صقر رحمه الله رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف لا شك أن التمتع بمباهج الحياة من أكل وشرب وتنزه أمر مباح مادام في الإطار المشروع الذي لا يرتكب فيه معصية ولا تنتهك حرمة:{قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ} [الأعراف: ٣٢]، ولكن هل لذلك يوم معين أو موسم خاص فالإسلام يريد من المسلم أن تكون له شخصيته المستقلة لا يندفع مع التيار فيمشى معه حيث دار:{لا يكن أحدكم كالإمعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وَطِّنُوا أنفسكم بأنفسكم...} الحديث عند البخاري:{لتتبعن سَنَنَ مَنَ قبلكم (طريق) شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لسلكتموه} قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال:{فمن}.

فلماذا نحرص على هذا اليوم بعينه والأيام كثيرة ونغضب الله رب العالمين؟! (أ.هـ).

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية لا يبيع المسلم ما يستعين به المسلم أو غير المسلم على مشابهة غير المسلمين في أعيادهم من الطعام واللباس لأن في ذلك إعانة على إقامة عيدهم المحرم.

- موقف المسلم من شم النسيم (عدم الاحتفال به وعدم الإعانة على الاحتفال به، الإنكار بالحكمة. عدم تبادل التهانى. المكث في البيت (وليسعك بيتك).. وجاء التحذير من النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{من تشبه بقوم فهو منهم}.

قال ابن تيمية: أقل أحوال هذا الحديث يقتضي التحريم.

* * *

نعمة النطق

نعم الله على عباده أكثر من أن تحصى أو تعد وبالشكر تدوم النعم وبدونه تتأتى النقم قال تعالى:{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ } [إبراهيم: ٧]، ومن أعظم هذه النعم نعمة النطق.

مفهوم النطق: التي يبين بها الإنسان مراده ومن فقدها لا يمكنه التفاهم مع غيره إلا بالإشارة او بالكتابة إن كان كاتباً.

هل نظرت إلى الأخرس ومعاملته؟ هل حمدت الله؟

قال تعالى في سورة النحل:{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ } [النحل: ٧٦]، والمعنى:

وقد أقسم الله بنفسه على تحقيق البعث والجزاء على الأعمال مثلما أن النطق حاصل وواقع في المخاطبين وفي ذلك تنويه بنعمة النطق.

قال تعالى:{فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾} [الذاريات: ٢٣]، قال تعالى:{ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾} [الرحمن: ٣ - ٤].

قال تعالى:{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾} [البلد: ٨ - ٩]، ومن المعلوم أن هذه النعمة تكون نعمة حقاً إذا استعملها صاحبها بما هو خير وإن استعملها عكس ذلك كان هذا الأمر وبالاً وخسراناً عليه ومن فقدها يكون أحسن حالاً منه.

قال صلى الله عليه وسلم :**{ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت}** عند الترمذي من حديث عقبة بن عامر قال: قال قلت يا رسول الله: ما النجاة؟ قال:**{أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك**

على خطيئتك} والإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ثم يحصد يوم القيامة ما زرع.

خلق الله للإنسان لسان وأذنين كي يستمع أكثر مما يتكلم قال عبد الله بن مسعود والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شئ أحوج إلى طول سجن اللسان وقال: إنه ارتقى الصفا وقال يا لسان قل خيراً تغنم أو اسكت عن شر تسلم قبل أن تندم واعلم أن المرء مخبوء تحت لسانه وكان عمر يقول: (من كثر كلامه كثر سقطه) قال صلى الله عليه وسلم حينما سئل: أي المسلمين خير قال:{المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده} قال تعالى: { وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ } [الأحزاب: ٥٨]، قال تعالى:{ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾} [النساء: ١١٢]، قال صلى الله عليه وسلم (صحيح الترغيب): {لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه} وكان الصديق يمسك بلسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد، وقال ربنا: {عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٧ - ١٨].

هل كان في لسان موسى عقدة تمنعه من الكلام بطلاقة؟

يزعم البعض أنه كان في لسان موسى (رتة أو تمتمة) تجعله يسرع في الكلام وتعوقه عن الإفصاح عن مراده بسهولة حيث طلب من ربه أن يحلل العقدة من لسانه قال تعالى:{وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى} [طه: ٢٧ - ٢٨]، وقد عاب عليه فرعون اللكنة:{ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾} [الزخرف: ٥٢]، واستندوا إلى حديث الفتون عن ابن عباس حين وضع موسى في حجر فرعون فناوله تمرة وجمرة (صحيح) وقد حل الله هذه العقدة بتمامها على الأصح

(واحلل عقدة من لساني - واحلل عقد لساني والمعنى أي أطلقه من عقدته واجعله فصيحاً مبيناً عن مرادي بسهولة ويسر (وفرعون كان يريد أن يصد الناس عنه والمراد بقوله (ولا يكاد يبين) يفصح عن حجة قاطعة على ما يدعى وهذا من وجهة نظره أو أنه لم يكن في لسانه عقدة أصلاً ولكنه طلب من ربه أن يلهمه رشده ويثبت فؤاده فينطلق لسانه في الكلام ولا يتلعثم ولا يقصر في الأداء عن المراد وهو قول تطمئن إليه النفس ولا تأباه اللغة إذا لم يكن ما ورد عن قول ابن عباس صحيحاً [1].

* * *

(1) انظر قصص القرآن للدكتور/ محمد بكر إسماعيل، كتاب نظرات في سورة الشعراء بتصرف كبير، للدكتور/ فتحي السعدني بتصرف كبير.

آداب الطريق

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إياكم والجلوس في الطرقات} فقالوا: يا رسول الله. مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه} قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال:{غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر}.

من الآداب التي يحرص الإسلام على نشرها بين الناس.

آداب المجالس: وقد تقدم الكلام عن قيمة الوقت وفي هذا الحديث بأن هناك حق الطريق إذا اضطر المسلمون للجلوس فيها.

قوله:{إياكم والجلوس في الطرقات} تحذير من اتخاذها مجالس لما يترتب على ذلك من ضرر لهم وللمارة فإن الجلوس فيها ينشأ عنه النظر المحرم للغاديات والرائحات والنظر إلى أصحاب العيوب فيؤدى ذلك إلى السخرية منهم والإستهزاء بل ويؤدى ذلك أي الجلوس عليها أي تضييقها على المارة، وحبس حريتهم في الذهاب والإياب، ولا سيما النساء والأطفال على أن الجلوس على الطرقات في حد ذاته يخل بالمروءة ويذهب بالحياء، فلا يجلس عليه إلا الجهلة لكن لا بأس على المضطر أن يجلس على قارعة الطريق وفي أي مكان منها لأن الضرورات تبيح المحذورات، ولهذا قالوا: يا رسول الله مالنا بد نتحدث فيها، وهم بذلك لا يعنون أن يعارضوا رسول الله في نهيه ولكن أرادوا أن يجعل لهم مخرجاً مما لابد منه وغاية النبي

أن يعلمهم آداب الطريق فهو يعرف انهم في حاجة على الجلوس فيها لضيق مساكنهم فهو تمهيد لبيان ما يجب عليهم فسألوه وما حق الطريق؟ فأجاب صلى الله عليه وسلم :{غض البصر، وكف الأذى...}.

غض البصر: أي كفه عن النظر إلى ما حرم الله وليس معنى الغض الإغماض وإنما معناه التغاضي عمن يمر به بمعنى أنه إذا مرَّت امرأة أجنبية مثلاً وجب عليه أن يتغاضى عنها ويشغل نفسه بشيء آخر من المباحات حتى لا يصاب بالنظر إلى الغاديات والرائحات وما يقال للرجل يقال للمرأة فإنها تشتهى منه ما يشتهى منها وقد أمرهما الله

عز وجل بغض البصر كل نوع على حده فقال جل شأنه:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣٠ - ٣١] (1).

---

(1) روى مسلم عن جرير رضى الله عنه قال: سألت رسول الله عن نظرة الفجأة فقال: {اصرف بصرك} أي حوله إلى شئ آخر وتحويل البصر لابد أن يتبعه تحويل القلب وإلا فإن القلب سيبعث البصر رسولاً مرة أخرى والنظر بريد الزنا. وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه:{كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة...} ولهذا قيل: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم بعده. قال القائل:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر

روى الترمذي في سننه عن بريدة:{**يا على لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليس لك الآخرة**} وذلك لأن الأولى غالباً ما تقع عرضاً من غير إعمال ولا فكر والدين يسر.

الحق الثاني: (كف الأذى):

هو أعم من الأول فإنه يتناول غض البصر وغيره مما يتأذى منه الناس من تضييق الطريق على المارة وإزعاج الناس بارتفاع الأصوات وإزاحة الأذى من الطريق شعبة من شعب الإيمان وكما جاء في الحديث:{**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**} والأذى كلمة تطلق ويراد بها القليل من الضرر كما في قوله:{لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾} [آل عمران: ١١١]، وقد يطلق ويراد بها (القليل والكثير معاً كقوله:{وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى} [البقرة: ٢٢٢]، ورب أذى قليل يكون من ورائه ضرر كبير كقشرة الموز مثلاً إذا وضعت في طريق الناس قد تكون سبباً في كسر رجل إنسان فيعجز فمن العدل ألا يخلف الإنسان وراءه أذى بعد انصرافه من مجلسه.

الحق الثالث: (رد السلام):

رد السلام على من ألقى عليه السلام فإن كانوا جماعة ورد واحد منهم كفي لقوله:{وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ} [النساء: ٨٦]، فإلقاء السلام سنة مؤكدة ورده فرض انظر الأحكام المتعلقة في كتاب (الفقه الواضح) والسلام معناه الأمان فأنت عندما تقول السلام عليكم معناه

الشرر
فغض البصر طاعة للرحمن ومعصية للشيطان.

الأمان من الله عليكم فيقول من سلمت عليه وعليكم السلام وإذا سلم عليك غير المسلم فلا بأس أن ترد عليه السلام عند الجمهور أهل العلم كما ذهب إلى ذلك القرطبي في تفسيره عند قول الله تعالى في سورة مريم:{قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ} [مريم: ٤٧]، فإن إبراهيم عليه السلام قد ألقى السلام على أبيه وهو كافر وقد استدل أيضاً بعموم قوله:{وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦} [النساء: ٨٦]. أما الأحاديث التي جاء فيها الاقتصار على قوله:{وعليكم فقط} فهو خاص باليهود.

الحق الرابع والخامس (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر):

المعروف هو كل ما أوجبه الشرع أو ندب إليه.

المنكر هو ما أنكره الشارع ونهى عنه وحذر منه. فالشرك من أعظم المنكرات على الإطلاق ويليه قتل النفس وشهادة الزور وأكل مال اليتيم وأكل الربا والسحر وعقوق الوالدين وشرب الخمر وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ثلاثة أصناف:

صنف يستطيع أن يغير المنكر بيده كالحاكم أو رب البيت.

صنف لا يستطيع أن يغير بيده ولكن بلسانه كالعلماء والوعاظ.

صنف لا يستطيع أن يغير بيده ولا بلسانه وهم عوام المسلمين.

التغيير باليد يكون بإزهاق المنكر ورد المسروق إلى صاحبه وقد يكون بمنع الفاعل من الفعل قبل حدوثه بأن يخلصه من ظلمه ومن لم يستطع أن يغير المنكر بيده فالواجب عليه ألا يقدم على ذلك.

تغيير المنكر باليد واللسان مشروط بشرط لابد من مراعاته وهو ألا يؤدى الضرر إلى ضرر أشد منه قال تعالى:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} [آل عمران: ١٠٤]، بمعنى أن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ينبغي أن يكونوا علماء أو متعلمين ولذا جاء في القرآن الحث على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ } [المائدة: ١٠٥].

جمهور المفسرين يرى أن الخطاب في الآية عام بدليل قوله:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ } [المائدة: ١٠٥]، ألزموها بالإصلاح واحملوها على الطاعة وقوموها إذا اعوجت.

{لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ } [المائدة: ١٠٥]، فهو قاعدة عامة من القواعد التي جاء بها القرآن الكريم في مواضع كثيرة كقوله:{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ} [الأنعام: ١٦٤].

وقوله:{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور: ٢١].

وقوله:{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)} [المدثر: ٣٨].

نقل الرازي في تفسيره عن عبد الله بن المبارك قال: (هذا أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)، روى احمد في مسنده عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } [المائدة: ١٠٥]، وإنكم تضعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{**إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه يوشك أن يعمهم الله عز وجل بعقابه**}.

روى الترمذي عن أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف نصنع بهذه الآية؟ قال: آية آية؟ قلت: قوله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ } [المائدة: ١٠٥]، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:{**بل ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر**} وعلى هذا فإن الجالس في الطريق سيتعرض لمساوئ كثيرة وسيرى مناظر لا تسره وكذلك سيسمع سمعه فلابد أن يأمر بالمعروف الذي ترتضيه العقول السليمة ويقره الشرع الحكيم ولابد أن ينهى عن المنكر وهو كل ما أنكرته الطباع السليمة وخالف الشرع ولم يجر على قواعد المروءة والحلم [1] (أ. هـ).

* * *

(1) وصايا الرسول للدكتور/ محمد بكر إسماعيل.

حرارة الدنيا وحرارة الآخرة

فقد اجتاحت البلاد موجة عارمة شديدة الحرارة في أيام ماضيه مما كان له أثره الواضح على تحركات وسلوكيات الناس بل وعلى صحة الناس بصفة عامة الكبير والصغير، بل يترتب عليها أيضاً أن البعض ربما أصيب بضربة شمس شديدة أدت إلى وفاته، وهذا واقع حقيقي وليس محض خيال ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، تعددت الأسباب والموت واحد، هذا ما جعلني أعقد مقارنة سريعة بين دنيا الناس وحياتهم وبين الشمس وحرارتها، مع وجود المبردات من مراوح وتكييفات وغيرها مع اختلاف درجات وأحوال الناس وبين وقوف الخلائق في أرض المحشر مع هول هذا اليوم وشدته تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم في هذا اليوم أهل السماوات وأهل الأرض ملك وجن وإنس وشيطان ووحوش وطير، فأشرقت عليهم الشمس، وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رءوس العالمين فلم يبق على الأرض إلا ظل رب العالمين.

الشمس جسم ملتهب يتكون غالبيته من الهيدروجين وتبعد عن الأرض بنحو (93) مليون ميل أي بمعدل (152) مليون كم وهى أبعد ما تكون عن الأرض في فصل الصيف حرارتها الداخلية (20) مليون درجة مئوية وحرارة سطحها 6000 درجة وترتيب الكواكب بالنسبة للشمس: عطارد. الزهرة. الأرض ومحيطها مثل محيط الأرض (325) مرة.

في أرض المحشر:

عند البخاري ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم :**{يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب في الأرض عرقهم سبعين ذراعاً وأنه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم}**.

عند مسلم من حديث المقداد قال صلى الله عليه وسلم :**{تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل}**، قال أسلم بن عامر: والله ما أدرى والله ما أدري ما يعنى الميل، مسافة في الأرض، أو الميل التي تكحل به العين فتكون الناس على قدر أعمالهم.

واعلم أن اليوم طويل (على المؤمن كصلاة مكتوبة) يقف الخلائق لا يجدون مأكلاً ولا مشربًا ولا روحًا ولا نسيمًا شاخصة الأبصار قيل ثلاثمائة سنة وقيل: خمسين ألف سنة ولا ينظر إليهم وبينما الناس وقوف في أرض المحشر (شدة جهنم) يأتي رب العزة إتياناً يليق بجلاله دون كيف أو تشبيه أو تجسيم وتساق النار إلى أرض المحشر، قال تعالى: {كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾} [الفجر: ٢١]، قال تعالى:{وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾} [النازعات: ٣٦]، يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم من حديث بن مسعود رضى الله عنه:**{يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام (ثغرة أو فتحة) مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها}** أي بمعدل 4 بليون و 900 مليون ملك،{وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: ٣١].

حال المؤمن يقول ربنا:{إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾} [الأنبياء: ١٠١]، إن حر جهنم لشدته قد يصهر كل ما يلقى فيه وان الاستعار والتأجج في جهنم يزداد باستمرار لقوله تعالى: {مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا } [الإسراء: ٩٧]، ولذا فلن نستطيع أن نقدر حر جهنم بأي نسبة من النسب التي يعرفها البشر اليوم

عندما يقيسون حرارة أي جسم حراري سواء كان مغلياً أو ناراً ملتهبة.

ولكن إذا أخذنا في اعتبارنا هذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم قال صلى الله عليه وسلم :{ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزء من حر جهنم} قالوا: إن كانت لكافية يا رسول الله؟ فقال:{فإنها فضلت عليها بتسع وستين جزءً كلها مثل حرها} فإذا عرفنا درجة حرارة اليوم وضربناها بالنسبة المذكورة في الحديث أمكننا حينئذ أن نعرف درجة حرارة جهنم على وجه التقريب والمقايسة 40 في 70 = 2800 درجة تقريباً.

لونها: عند الترمذي من حديث أبى هريرة قال صلى الله عليه وسلم :{أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة}.

عمقها: عند الترمذي: من حديث الحسن:{إن الصخرة لتلقى من شفير جهنم فتهوى سبعين عاماً وما تفضي إلى قرارها} وعند مسلم من حديث أبى هريرة قال: كنا مع رسول صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة (صوت سقوط الحجر) فقال صلى الله عليه وسلم :{تدرون ما هذا؟} قلنا الله ورسوله أعلم قال:{هذا حجر رمى في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى مقرها}.{ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾} [التوبة: ٨١ - ٨٢].

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ::: وكل يوم مضى يدني من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهـــدا ::: إنما الربح والخســـران في العمـــل

* * *

رحلة الحج... تذكرة بالآخرة

الحج رحلة تربوية ورحلة روحية ولا يتعرض لمثلها المسلم طوال حياته تبعد الإنسان عن ملذاته وشهواته وتجعله مقبلاً على الآخرة. رحلة لها بصماتها في شخصية المسلم فيها دروس وعبر وسفره هذا أشبه بسفر الآخرة قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢} [الحج: ١ - ٢].

ويقول أيضاً: في نفس السورة:{وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ٢٨} [الحج: ٢٧ - ٢٨]، إلى أن قال: {ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ٣٢} [الحج: ٣٢]، وقال في الحج:{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ} [البقرة: ١٩٧]،

قال تعالى في سورة الحج:{لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ} [الحج: ٣٧]، قال في الصوم سورة البقرة:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣].

التوبة النصوح: قبل الحج. (قبل الموت) إن الله يقبل توبة العبد المسلم الذي ينوى الحج أول شيء يفعله يتوب إلى ربه من جملة المعاصي التي كان يرتكبها صغيرها وكبيرها فتراه نادماً على أيام فاتت من

عمره وكلها معصية فهذا الأمر يذكر الحاج بالتوبة قبل الموت والندم على ما فاته من أيام عمره.

(العمل للآخرة): الحقوق قبل الحج رد الحقوق قبل الموت.

يقوم الحاج بقطع الصلات التي تربطه بالدنيا فيقوم برد الحقوق إلى أصحابها ويكتب وصيته لأولاده وأهله وعند ذلك يتذكر هذا الحاج قطع العلائق لسفره إلى الآخرة تاركاً الدنيا ولا شئ معه سوى عمله تاركاً كل شئ.

الزاد: نفقة الحاج وماله (عمل الإنسان قبل موته).

الحاج عندما يقصد بيت الله الحرام فيجمع زاده الذي يعينه على مواصلة هذه الرحلة الطويلة فيه خير من الزاد أو فصله ويتعمد ألا يكون زاداً سريع التلف والبوار فيجمع المال الحلال لا عن طريق النصب والاحتيال والمتاجرة في الأشياء المحرمة وهنا يتذكر الحاج زاده في الآخرة فلابد وأن يكون سليماً لا يصيبه عطب الرياء والسمعة وأن يكون كافياً لأن الرحلة ستطول في هذه المرة فيتزود من الأعمال الصالحات.

الراحلة: الدابة (الحمل على الأعناق).

كان الحاج قديماً إذا نوى هذه الرحلة امتطى دابته قاصداً بيت الله الحرام واليوم الحاج يتخير وسيلة سفره فيشكر الله على ذلك وهنا يتذكر الحاج راحلته التي ستحمله وتنقله من الدنيا إلى منازل الآخرة وفي هذه اللحظة يقول الحاج لنفسه: اليوم أصعد هذه السفينة أو الطائرة بإرادتي مودعاً الأحباب وغداً سأحمل رغم أنفي على الأعناق.

شراء ثوب الإحرام: (ملابس الإحرام الكفن).

يشترى الحاج ثوب الإحرام ذلك الثوب الأبيض اللون الذي يوحي ببياض القلوب وصفائها يقع في قلبه ذكر الكفن فغداً سيشترى ابنه الكفن له وهنا يتذكر الحاج الموت وخاصة عندما يلتف بثوب الإحرام.

الخروج من البلد: الخروج على خشبة الغسل ومغادرة الأهل.

في تلك الساعة التي يغادر فيها الحاج بلده فإن دموعه تنهمر ولا ندرى أهي دمع الفرحة بزيارة بيت الله الحرام أم دموع مفارقة الأهل والأحباب والوطن فهذا المحرم قد طرح كل شئ خلف ظهره تاركاً أولاده وفي هذه اللحظة يخطر بباله لحظة خروجه من دنيا الناس مطروحاً على خشبة مستطيلة وإذا كان هناك الفرح عند بداية المولود فنبغى ان يكون هناك سرور عند موته.

الوقوف أمام بيت الله الحرام: أمام الكعبة (أمام الله).

هنا وفي تلك البقعة التي تعد من أطهر بقاع الأرض يقف الحاج أمام بيت الله الحرام وهو يعرف لهذا البيت حرمته وعظمته وقداسته يقف في خشوع وخضوع وتذلل لله رب العالمين يمتلكه شعور الخوف فهو لا يدرى أتقبل حجته أم لا وفي هذه اللحظة يتذكر لحظة الوقوف أمام ربه للحساب وهو لا يدرى أمن أهل الجنة السعداء أم أهل النار الأشقياء.

(الوقوف بعرفة) عرفة المحشر:

في هذا اليوم شديد الازدحام بضيوف الله على أرض جبل عرفات والناس متفرقة كحبات الحصى يرددون دعاء واحد ويعبدون رباً

واحداً ويتوجهون لقبلة واحدة كل إنسان مشغول بأمر نفسه لا يهمه إلا أمره مع ربه فهذا الموقف يذكر الحاج بلحظة الوقوف على أرض المحشر وانشغال الناس بالحساب كل واحد مشغول بنفسه يفر الابن من أبيه ولا يعرف الأخ أخاه.

زيارة روضة الرسول صلى الله عليه وسلم قبر النبي (حوض النبي):

فالحاج عندما يتوجه لروضة المصطفي ليزور نبيه ويأنس به ويعيش أجمل لحظات الوصال ويتزود من روحانيات هذا المكان في تلك اللحظة يتذكر الحاج لحظة الوقوف أمام حوض النبي صلى الله عليه وسلم أمام الكوثر والرسول صلى الله عليه وسلم يسقيه من يده الشريفة ثم شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأمته فالحاج إذا فقه هذا الدرس وطبقه استطاع أن يؤدى رحلته المباركة خير أداء ويعود منها مغفوراً له.

* * *

المرأة أسعد حظاً بالإسلام

لقد ظلم الجهال ومن في قلوبهم مرض هذا الدين ظناً منهم أنه ظلم المرأة في تشريعات بأن أعطاها نصف نصيب الذكر، وسلط عليها الرجل فيما يسمى القوامة وجعل شهادتها نصف شهادة الرجل، ورماها بالنقص في العقل والدين، ولكن المنصف لهذا الدين الحنيف يرى أن المرأة هي أسعد الناس حظاً بهذا الدين في جميع مراحل عمرها منذ ولادتها وعلى المسلمة أن تعي هذا وتفهمه حتى لا تظن سوءً بدينها أو شرع ربها وهدى نبيها ونذكر فيما يلي من علامات حفاوة الدين بالمرأة منذ نعومة أظافرها.

أولا وهى بنت صغيرة: فمنذ رقق الإسلام قلوب الأبوين نحوها وجعل الإحسان إليهما سبباً للنجاة من النيران والفوز بالجنان. روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها فسألتني فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل شيئاً ثم قامت فخرجت وابنتاها فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته حديثها فقال النبي صلى الله عليه وسلم :**{من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار}** وتوعد الله سبحانه من أساء إليها بقتلها، قال تعالى:{وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾} [التكوير: ٨ - ٩]، ليكون ذلك تهديداً لقاتلها فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذاً وعن ابن عباس (سئلت) أي سألت أي طالبت بدمها. نقلاً عن بن كثير ويقول الشوكاني في فتح القدير: إن توجيه السؤال إليها لإظهار كمال الغيظ على قاتلها حتى كأنه لا يستحق أن يخاطب ويسأل عن

ذلك وفيه تبكيت لقاتلها وتوبيخ له شديد، وإذا كانت المقتولة تسأل فما بالك بالقاتل [1].

وتصحبها حفاوة الإسلام حتى تبلغ الحلم لما رواه من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**من عال جاريتين حتى تبلغا الحلم جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه**}. وإذا مات عائلها فلها الميراث أو النصيب المفروض والمستقل لقوله تعالى:{لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾} [النساء: ٧]، فالإسلام أوجب لها الميراث والنفقة أثناء الزواج وأوجب لها الصداق فيصبح نصيبها من والديها احتياطيا لها فهي أسعد حظاً من أخيها الذي أخذ ضعفها لكن عليه صداق واجب لزوجته ونفقة لزوجته وأولاده ومن هنا ظهرت حكمة الحكيم العليم: { يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ } [النساء: ١١].

* لها حق المشورة أثناء تزويجها بعكس المرأة في غير الإسلام فهي كقطعة متاع لا رأي ولا مشورة لا ولي لها ولا قيم عليها.

* عندما تكون زوجة: فهي بالإسلام أسعد حظاً وبعيدة كل البعد عن الشقاء والكد والتحصيل المعاشي وشاهد لذلك قوله تعالى:{ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ } [طه: ١١٧ - ١١٩]، فالخارج من الجنة اثنان آدم وزوجه (وأما الذي سيشقى واحد وهو آدم...) لذلك لما رأي موسى عليه السلام المرأتين خرجتا إلى سبيل من سبل

(1) في ظلال القرآن للسيد قطب.

الشقاء ورعاية المال (ما خطبكما...) فهل عرفت المسلمة أين راحتها وسعادتها أفي الإسلام أم في مناهج الشيطان يقول صلى الله عليه وسلم :{كل ما صنعت لأهلك فهو صدقة} بل أسعد الإسلام المرأة ورخص للزوج أن يكذب على زوجته، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أم كلثوم بنت عقبة قالت: (رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب في ثلاث في الحرب وفي الإصلاح بين الناس وقول الرجل لامرأته).

* سعدت المرأة أيضاً أن تتزوج في الإسلام برضاها وتأخذ صداقها قال تعالى:{وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾} [النساء: ٤].

ومن أسرار القرآن أن كلمة (صدقاتهن) قرئت في جميع القراءات العشرة المتواترة (بالضم) أي الدال ومفردها صدقة. وهى ما يدفعه الرجل للمرأة من أجل الاستمتاع بها والبعض قال أولياء الأمور يأخذونه فهي تأخذ ويدها (عليا) وليست سفلى لأنها صاحبة حق متى يمتلك الدافع لها بضعها ويستحل فرجها بخلاف الصدقات في قوله: {إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾} [التوبة: ٦٠].

والمعطى يده عليا والآخذ يده سفلى لكن الصدقة وهى مهر المرأة يدفعها الزوج وتأخذها الزوجة فريضة على الزوج أليست هي أسعد حظاً من الزوج فهو يغرم وهى تغنم وكلاهما يستمتع المتعة الحلال وإذا انتهت العلاقة بين الزوجين بالطلاق اوجب الإسلام لها السكنى والنفقة إذا كان لزوجها عليها الرجعة.

(الاهتمام بها أماً):

للأم ثلاثة أرباع البر وللأب الربع:{من أحق الناس بحسن صحابتي...} يقول تعالى:{فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ} [الإسراء: ٢٣]، المعنى.

روى أن رجلاً حمل أمه فوق كتفيه وأخذ يطوف بها حول الكعبة ويسأل هل بذلك [1]... قصة جريج عابد بنى إسرائيل (خ. م) (وكان يصلى فما بالك بالعقوق وغيره) [2] إذا ماتت الأم نادى منادى لقد ماتت التي كنا نكرمك من أجلها فالأم لها الطاعة المطلقة (الصيام والصدقة عنها بعد موتها) هل يعقل من أن تبر في يوم وتهان طوال العام في بلاد الغرب عيد لها لأنهم لا يعرفون عن أهليهم شيئاً قال بعض أهل العلم هو من بدع العادات وليس من بدع العبادات وفي الحديث:{إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات..}.

* * *

(1) انظر القصة في كتاب الكبائر للذهبي، بعنوان عقوق الوالدين.
(2) انظر القصة بتمامها في فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

الاستغفار

ما من عبد على ظهر هذه البسيطة إلا وهو صاحب ذنب فكلنا أصحاب ذنوب وكلنا ذوو خطأ يستوي في ذلك العالم والجاهل والوقوع في الذنب والمعصية يحتاج إلى توبة من العبد لخالقه ومن أولى مراحل التوبة الاستغفار ولم لا؟!.

الاستغفار ديدن الأنبياء السابقين، قال تعالى في سورة هود:{الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ} [هود: ١ - ٣].

قال في سورة فصلت:{فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ } [فصلت: ٦].

قال الله للنبي محمد كما في سورة محمد:{ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ} [محمد: ١٩].

الاستغفار بعد الطاعة لا يقل عن الإستغفار بعد المعصية.

قال ابن القيم رحمه الله فالرضا بالطاعة من حماقة النفس وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفار الطاعات لشهودهم تقصيرهم فيها وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه وقد أمر الله حجاج بيته بأن يستغفروه بعد إفاضتهم من عرفات قال تعالى:{فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ

رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ
أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى
ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى
ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ
إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾} [البقرة: ١٩٨ - ٢٠٣].

قال عن حال أهل الليل: (والمستغفرين بالأسحار).

والحال بعد الفروغ من الصلاة: أستغفر الله العظيم. أستغفر الله العظيم - أستغفر الله العظيم.

وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالإستغفار بعد أداء الرسالة:{إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾} [النصر: ١]، كما فهم عمر وابن عباس أنه أمره أن يستغفره لأنك قد أديت ما عليك ما جعل خاتمته الاستغفار كما كان الحال في الحج والصلاة وقيام الليل كذا الوضوء في خاتمته.

* فضل الاستغفار: طلب المغفرة إما باللسان أو بالقلب أو بهما:

في صحيح مسلم من حديث أبى هريرة:{**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم**}.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**}.

قال ابن مسعود رضى الله عنه في كتاب الله عز وجل: آيتان ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى

لــــه:{ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ } [آل عمران: ١٣٥]، وقولـه:{ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾} [النساء: ١١٠].

قال على رضى الله عنه: (العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل: وما هي قال الإستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه وتعالى عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه) ولعل هذا المعنى من قوله تعالى:{ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ } [الأنفال: ٣٣]. قال قتادة رضى الله عنه : القرآن يدلكم على دائكم وعلى دوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار.

عن ابن عباس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**{من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب}**.

ولعل هذا قوله:{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ } [الطلاق: ٢ - ٣].

- الاستغفار يكون سبباً في تفريج الكربات، إنزال المطر، إنجاب الذرية، دخول الجنة، قال تعالى:{ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾} [نوح: ١٠ - ١١] الآيات.

- صيغة الاستغفار: عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:**{اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت وأبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت}**.

– {من قالها موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها في الليل موقناً بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة} ولذا كان حال أحد السابقين في ذكره لله دائماً يقول الحمد لله.. أستغفر الله فقيل له: أما تحفظ شيئاً آخر غير ذلك قال أحفظ الكثير ولكن العبد بين أمرين إما في طاعة فيحمد الله وإما معصية فيستغفر الله.

قال العلامة ابن القيم: (قلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوماً سئل بعض أهل العلم أيهما أنفع للعبد التسبيح أم الاستغفار فقال إذا كان الثوب نقياً (القلب) فالبخور وماء الورد أنفع له وإذا كان دنساً فالصابون والماء الحار أنفع له فقال لي: رحمه الله تعالى فكيف والثياب لا تزال دنسة فهو يقول ذلك عن نفسه وأهل زمانه فكيف بحالنا نحن أ.هـ.

أستغفر الله العظيم، أستغفر الله العظيم - أستغفر الله العظيم.

* * *

استخدام العامل النفسي في الصراع مع الأعداء

فإن ما يشهد أرض الواقع من حصار وصراع وحروب، ينظر إليه كثير من الناس على أنه ليس هناك تكافؤ بين كلا الطرفين، وهذا أمر حقيقي لا نستطيع أن ننكره حيث إننا نرى العدو يستخدم في حروبه أسلحة دمار شامل، بل هي الدمار الشامل بعينه حيث ما يستخدمونه محرم دولياً حتى أن القنابل العنقودية أو الفسفورية قنابل مسرطنة إذا ما نزلت بجندي فرقت أشلاءه واحترق عظمه، وإن ظل على وضعه مات بسرطان تلك حقيقة أخبر عنها الخبراء العسكريون فجعلوا أهل غزة (حقل تجارب) وبالرغم من ذلك نجد أن أهل فلسطين في غزة يصبرون ويصابرون ويحاربون بالرغم من قلتهم إلا أنهم في حاجة إلى غذاء. دواء. سلاح، فأنى لهذه الفئة المستضعفة محاربة هذه القوة العاتية.

أمر واقع: يرون أن إرادة المقاومة وإرادة القتال هي أصلاً (حالة ذهنية) تنشأ في عقل المقاتل فيتولد لديه الدافع للصمود والاستبسال في القتال وكلا الطرفين يسعى في تغيير الحالة الذهنية لدى خصمه ليتخلى عن صموده فتنهار إرادته.

يقول روميل: (إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل إبدائهم).

- تنظيم القاعدة (أسامة بن لادن. الظواهري) وحيرة أمريكا فيهم.
- حزب الله (حسن نصر الله) وغيرهم إرهاق للعدو من الناحية النفسية.

– الفئة المستضعفة من المسلمين التي جاء ذكرها في سورة الحشر، قال تعالى:{لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾} [الحشر: ١٣ - ١٤].

توجيهات الإسلام: الإسلام يجعل الهدف (من أعداء القوة إيقاع الرهبة في قلوب الأعداء قال ربنا جل وعلا:{وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: ٦٠].

قوة تشمل كل أنواع القوة.

يقول صلى الله عليه وسلم :**{نصرت بالرعب مسيرة شهر}**.

عدد الغزوات في عهد النبوة ثماني وعشرين غزوة لكن القتال نشب في تسع فقط.

مواقف من التاريخ: شهد التاريخ بثقل المسلمين في موازين القوى وبأثره النفسي في التغلب على الأعداء المتفوقين فكان النبي صلى الله عليه وسلم في قتاله دفاعاً عن الدين يحارب عرباً بعرب بل قرشيين بقرشيين فكان المسلمون ينتصرون على الرغم من تفوق المشركين) في العدد والأسلحة فمن أهم عناصر التأثير النفسي هو أن المسلم (بعقيدته وأخلاقه وكفاءته) هاهو المثنى بن حارثة الشيباني) يصف الفرق بين المقاتل العربي في الجاهلية والإسلام والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد على من ألف من العجم، والسر في ذلك أن الإسلام جرد الإنسان من كل نزاع من أجل إعلاء كلمة التوحيد قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ}

[الأنفال: ٦٥].

وصدق الله حيث قال:{وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: ٤٠].

وصدق الله حيث قال:{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الروم: ٤٧].

وصدق الله حيث قال:{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾} [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

انتبه جيداً: أثناء فتح المسلمين لمصر سأل المقوقس رجاله عن صدِّ المسلمين، فقالوا: رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع أحب إليهم من الرفعة ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة وإنما جلوسهم على التراب وأميرهم كأنه واحد منهم وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم فأرهب هذا المقوقس حتى قال: والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقدر على قتال هؤلاء أحد ودعا قومه إلى الصلح مع المسلمين وختاماً: نهاية إسرائيل محتومة لا مفر من ذلك وهذا ما أخبر عنه القرآن الكريم وتحدث عنه رب العالمين، هم ومن على شاكلتهم من الطواغيت.

* * *

سكينة النفس عطاء الله لأهل الإيمان

إن سكينة النفس تنتج عن الإيمان الصادق، يلجأ إليها المكروب فيطمئن، ويأوي إليها المهموم فيهنأ، ويركب إليها المغموم فيفرح وبهدوء النفس وصلاح البال وحسن العمل يكون ممن خصهم الله بقوله:{ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ } [محمد: ٥ - ٦]، وإذا كان الإنسان يراوده طموحه إلى تحقيق مجموعة من الرغائب الدنيوية (كالصحة. والمال والموهبة. والقوة والشهرة) ويرى أن هذه الأمور تحقق السعادة إلا أنها لو اجتمعت بعيدة عن سكينة النفس فإنها تتحول إلى عوامل نكد واضطراب فبدون سكينة النفس يتحول القصر سجناً بينما يتحول البيت الصغير قصراً رحباً وواقع حياة الناس يشهد وشاهد صدق على أن الإيمان هو المصدر الوحيد لاكتساب هذه المنحة الربانية وفي ذلك يقول ربنا:{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ } [الشمس: ٧ - ٩]، ويأتي حديث النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الجامع الصغير للسيوطي وفيض القدير للحاكم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{**السكينة مغنم وتركها مغرم**}.

معنى السكينة: مأخوذة من السكون أي الهدوء والاطمئنان والأمن والاستقرار فهي تعنى الراحة والاستئناس كما يقول ربنا:{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾} [يونس: ٦٧].

كما يقول ربنا:{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا }

[الروم: ٢١].

يقول الجرجاني في التعريفات: هي نور يسكن إلى شاهده ويطمئن.

يقول الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن في قول الله جل جلاله:{هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الفتح: ٤]: السكينة قيل هو ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه وقد قال علي بن أبي طالب إن السكينة لتنطق على لسان عمر وقيل هو العقل وقيل له: سكينة إذا سكن عن الميل إلى الشهوات وعلى ذلك قوله:{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} [الرعد: ٢٨].

السكينة في القرآن: وردت السكينة في القرآن في ستة مواضع في ثلاثة منها بلفظ (سكينة) مضافة إلى الضمير الذي يعود على الله جل وعلا وفي كل منها تمثل نافذة الأمن التي يسديها الله لعباده المؤمنين حين تلم لهم المخاوف التي لا يثبت أمامها إلا من كان الله معه بسكينة فيسكن الخائف ويطمئن القلق ويستريح المتعب.

1 - **حال النبي والصديق وهما في الغار**: ووصول المشركين إلى الغار وتظهر مشاعر الحزن على وجه الصديق خوفاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينزل القرآن:{إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾} [التوبة: ٤٠].

2 - **في غزوة حنين**: حين انكشف المسلمون عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصار في مواجهة الأعداء الذين استطاعوا أن يفزعوا

المسلمين فكانت السكينة من أهم أسباب الثبات في الموقف العصيب.

يقول تعالى:{ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾} [التوبة: ٢٥ - ٢٦].

3- حين أبدى المشركون عصبيتهم البغيضة في ردهم للمسلمين ومنعهم النبي صلى الله عليه وسلم عن دخول الحرم فاعتصرت أكباد المسلمين غيظاً فكانت السكينة ينبوع الهدوء الهدوء الذي طمأنهم يقول تعالى:{ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾} [الفتح: ٢٦].

وكأن السكينة صارت شيئاً معروفاً ومعهوداً يجده المؤمنون كلما ألم بهم حال ضيق وموقف عصيب.

السكينة في السنة:

ما رواه مسلم من حديث البراء قال: (كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين (حبلين) فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال صلى الله عليه وسلم :**{تلك السكينة تنزلت للقرآن}**.

روى البخاري ومسلم من حديث أبى سعيد الخدري رضى الله عنه

أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده [1] (مكان يجفف فيه التمر) فجعلت فرسه ودارت حتى كادت تقطع رباطها فسكنت فسكنت الفرس فاستأنف فدارت دورة أشد من السابقة فكرر ذلك وهنا حانت منه التفاتة إلى السماء فرأي غمامة كالمظلة لم تر العين أروع منها ولا أبهى وقد علق بها أمثال المصابيح فملأت الآفاق ضياء وسناء وهى تصعد إلى أعلى حتى غابت عن ناظريه فلما أصبح مضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقص عليه خبر ما رأي فقال صلى الله عليه وسلم :**{تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم}** فأخبر مرة عن هذا بنزول السكينة ومرة بنزول الملائكة.

يقول القرطبي: وفي هذا حجة لمن قال: إن السكينة روح أو شئ له لأنه لا يصح استماع القرآن إلا من يعقل وبذلك يتضح أن السكينة مغنم يتحقق للمؤمن حين يصدق الإيمان بربه وهى مغرم حتى لا يسعى المؤمن إلى اكتسابها وتحقيقها فيحرم منها.

إن صدق الإيمان يجعل المؤمن في حال سكينة وهدوء ويستحضر قول الله وجل وعلا:{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾} [الحديد: ٢٢ - ٢٣]، ومن غنم السكينة يقين المؤمن بأنه في معية الله ومن كان الله معه فهو الآمن في كل مواطن الخوف فها هو نبى الله موسى يستحضر معية الله فيجد السكينة حين هلع بنو إسرائيل لما وجدوا

---

(1) وهو بمعنى المكان الذي تبيت فيه الدواب أيضًا.

جيش فرعون يلحق بهم... فما كان من موسى إلا أن قال:{كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ } [الشعراء: ٦٢]. وما شعر به النبي صلى الله عليه وسلم حينما فزع الصديق في الغار فقال:{لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا } [التوبة: ٤٠].

* * *

اعرف نفسك!! [1]

الناس يتفاخرون في هذه الدنيا بحسبهم وأسمائهم ونسبهم فلربما يفتخر الإنسان بنفسه ومنصبه على أنه الدكتور الفلاني أو المهندس الفلاني أو ما شابه ذلك ونحن لا نقلل من شأن أحد ولكننا نحترم كل الناس على اختلاف مسمياتهم ونوعية أعمالهم ولكن مطلوب من الإنسان من كل إنسان من بنى آدم أن يتعرف على نفسه أكثر من ذلك و ألا ينسى أصله الذي خلق منه وهذا أدعى له أن يعيش عيشة هنية مرضية متواضعة بين الناس والسؤال لكل إنسان:

س: هل تعرف نفسك؟

ج: اعرف نفسك بنفسك من خلال آيات القرآن ومن خلال سنة خير الأنام.. كل إنسان له شهادة ميلاد وأكثر الناس لهم شهادة الميلاد والبطاقة الشخصية أو العائلية تحمل في بياناتها: الاسم. تاريخ الميلاد. نوع العمل. محل الإقامة. هذه هي أهم البيانات التي تعرف عن كثير من الناس ولكن لا زلت أطرح السؤال وأقول هل تعرف نفسك؟ اعرف نفسك بنفسك من القرآن وسنة خير الأنام.

أولاً الاسم: **من ماء مهين ابن التراب والطين**:

نعم كلكم لآدم وآدم من تراب فالإنسان خلق من ماء مهين أي من جزء من هذا الماء الحيوان المهين وليس من كل الماء.

(1) فكرة العنوان للشيخ/ وحيد عبد السلام بالي.

قـــال تعـــالى:{أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾} [المرسلات: ٢٠ - ٢١].

قال تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾} [المؤمنون: ١٢ - ١٣].

قـال تعـالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} [الحجـر: ٢٦]، فتذكر أنك ابن التراب والطين الذي تطأه بقدمك.

ثانياً الوظيفة: عبد عند رب العالمين:

نعم.. ما من مخلوق في هذا الكون إلا وهو يعبد الله جل في علاه على اختلاف الأجناس والألوان من حيث الفطرة.

قال ربنا:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [الذاريات: ٥٦].

قـال ربنــا: فــي سـورة مـريم:{إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾} [مريم: ٩٣ - ٩٥].

وقال أيضاً:{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام: ٩٤].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم :**{ما من مولود إلا ويولد على الفطرة (أي الإسلام) فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه}** متفق عليه.

وجاء وصف القرآن لكثير من الأنبياء بلفظ العبودية وهو أفضل الألفاظ لأنك عبد الله وليس للشيطان أو لكذا.

قــال تعــالى فــي حــق نبيــه:{وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} [البقرة: ٢٣].

وقال تعالى عن نوح:{إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: ٣].

وقــال تعــالى عــن أيــوب وســليمان وداود:{نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ} [ص: ٣٠]، واعلم أيها الشاب الصغير حينما تتطاول على شيخ مسن كبير فقد أخطأت في حق رب العالمين تذكر أن هذا الشيخ المسن الكبير عاش قبلـك سـنين وعبـد الله رب العـالمين فلـه الأسـبقية فـي عبادتـه لله رب العالمين. وأنت أيها الشيخ الكبير حينما تظلم شاباً صغيراً فقد أخطأت خطأ جسيماً لم يغن كبر السن لك فأنت قد عصيت الله كثيراً وقبل هذا الشاب.

قال صلى الله عليه وسلم :{**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، وتعس عبد الخميصة**}.

ثالثاً: الإقامة الحالية (أيام قلائل على ظهر الأرض):

مهما طال العمر بالإنسان فهو ميت لا محالة فمهما طال العمر فلابد من دخول القبر ولابد من الحساب والعرض وهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم : يصف حقارة هذه الدنيا:{**مثلى ومثل الدنيا كراكب استظل بظل شجرة ثم راح وتركها**}.

وها هو نبي الله نوح يقول: (مثلى ومثل الدنيا كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر) وهو أطول الأنبياء عمراً.

وكما يقول القائل:

إن لله عبــــــادا فطنــــــاً ::: طلقــوا الــدنيا وخــافوا الفتنــا
نظــروا فيهــا فلمــا علمــوا ::: أنهــا ليســت لحــى وطنــا
جعلوهــا لجــة واتخــذوا ::: صــالح الأعمــال فيهــا ســفنا

رابعاً الأعداء: إبليس والنفس والهوى والدنيا:

ما من إنسان إلا وله أعداء قال الشاعر:

إني بليت بأربع ما سلطوا ::: إلا لشدة شقوتي وعنائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ::: كيف الخلاص وكلهم أعدائي

وعن الشيطان قال ربنا:{ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } [فاطر: ٦].

وعن الدنيا قال ربنا:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾} [فاطر: ٥].

وعن النفس:{وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ } [يوسف: ٥٣].

وعن الهوى:{أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ} [الجاثية: ٢٣].

خامساً الهدف: إرضاء الله ثم الجنة:

كل إنسان مسلم عاقل يرجو رضا الله تبارك وتعالى ورضى الله في اتباع تعاليمه، قال تعالى:{فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف: ١١٠].

قال صلى الله عليه وسلم :{ألا وإن سلعة الله غالية، ألا وإن سلعة الله غالية، ألا وهى الجنة}.

سادساً: الطريق اتباع النبي صلى الله عليه وسلم :

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يدع لنا بابا من أبواب الخير إلا ودلنا عليه ولم ولم يترك باباً من أبواب الشر إلا وحذرنا منه. قال تعالى:{أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ } [النساء: ٥٩].

قال تعالى:{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ } [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

قال صلى الله عليه وسلم :{ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ

بِهِ كِتَابَ اللهِّ} صحيح مسلم.

سابعاً المؤهل: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله):

فأول ما يولد المولود يؤذن في أذنه وتقام الصلاة وإذا أراد المشرك أن يدخل في الإسلام ينطق بالشهادتين وإن كان على فراش موته ينطق بالشهادتين وفي قبره يسال عن كلمة التوحيد.

قال ربنا:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} [إبراهيم: ٢٤].

ثامناً الإقامة الدائمة: إما في الجنة وإما في النار:

قال ربنا:{إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ} [الانفطار: ١٣ - ١٤].

فالدنيا دار ولكنها دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له والقبر أول منازل الآخرة ثم الاستقرار في أحد الدارين إما جنة أبداً وإما الأخرى النار والعياذ بالله.

قال صلى الله عليه وسلم :**{يؤتى بالموت على هيئة كبش أقرن ويذبح على الصراط وينادى مناد من أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت}**، وينادى على أهل الجنة:{وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: ٤٣].

وختاماً ينادى على أهل العصيان:{قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].

أقول لك: هل عرفت نفسك اعرف نفسك بنفسك قبل أن تندم وهذا هو الإنسان وهذه هي حقيقة الإنسان.

الحكمة من مولده صلى الله عليه وسلم **يتيما**

إذا كان اليتم في حق البشر معيرة فإنه في حق نبينا صلى الله عليه وسلم مفخرة ولم لا وقد جاءت البشارات التي تدل عليه بأنه يتيم وإذا كان اليتيم يأخذ الصدقات والزكوات فإنها محرمة على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد حفظ الله نسب النبي صلى الله عليه وسلم في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات فلم يصبه من سفاح الجاهلية شئ قال تعالى:{لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ} [التوبة: ١٢٨]، بفتح الفاء عبد الله بن قسيط المكي، وهذا يقتضي مدحًا لنسب النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم :{خلقت من نكاح ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء فأنا خيار من خيار}.

ولو كان في نسبه شبهة:

- لعيره قومه في مكة حينما قال:{إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} [سبأ: ٤٦].

- لعيره أهل المدينة (اليهود والنصارى) حينما دعاهم إلى عبادة الله).

يقول الشاعر:

نسبه كأن عليه من شمس الضحى نوراً ::: ومن فلق الصباح عموداً
وما فيه إلا سيد من سيد ::: حاز المكارم والتقى والجودا

هل أتاك حديث راعى الغنم الصغير اليتيم محمد بن عبد الله الذي رعى الغنم في مكة ثم رعى البشرية بأسرها نعم محمد اليتيم.

روى مسلم سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن نسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف نسبه فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب ثم قال: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ::: وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له ::: حد فيعرب عنه ناطق بفم

يقول تعالى:{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾} [الضحى: ٦].

المعنى: ألم تكن يا محمد يتيماً في صغرك فآواك الله إلى عمك أبى طالب وضمك إليه؟ قال الحافظ ابن كثير: وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه ثم توفيت أمه وله من العمر ست سنين ثم كان في كفالة جده (عبد المطلب) إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره حتى ابتعثه الله على رأس الأربعين وأبو طالب على عبادة الأوثان ومع ذلك كان يدفع الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾} [الضحى: ٩].

(تقهر) قلقلة في حرف القاف الساكن فالقهر شيء قلبي داخلي لا يشعر به إلا المقهور يحس به ويتوجع ولا يكاد يبين فيقهر قلبه ولا يستطيع الإفصاح عما بداخله.

(وأما السائل فلا تنهر) إظهار في النون الساكنة فعندما ينهر من المسئول يظهر على وجهه أنهار الدم تجرى في عروق جبينه وقد لا يتألم قلبه فهو يتأثر ظاهراً فقط بخلاف اليتيم الذي يقهر باطنه.

{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾} [الضحى: ٦].

يقول ربنا على لسان فرعون في حق موسى عليه السلام:{أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا} [الشعراء: ١٨].

فكيف يأتي الخطاب من الله لنبيه:{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾} فكيف ما يذم من فرعون يحسن من الله ويجدر من الله؟

نقول: إن قول الله على لسان فرعون جاء من قبيل الذم والمن والمباهاة والمفاخرة وهو امتنان.. لأن الغرض فما بالك لا تخدمني وامتنان الله تعالى بزيادة نعمه كان يقول (مالك تقطع عنى رجاءك ألست شرعت في تربيتك فإنك بأعيننا ولابد وأن أتم عليك وعلى أمتك النعمة كما قال (ولأتم نعمتي عليكم).

اليتيم سرعان ما تظهر أخطاؤه وتتكشف بين الناس ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له خطأ مع أن اليتيم يزداد عيباً على عيبه وكم من آباء عاشوا لأبنائهم إلا أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا لهم شيئاً وإنما هي اختبار واصطفاء:{ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ} [الأنعام: ١٢٤]، وكم من أطفال مات آباؤهم وتبوأوا أعلى الدرجات وهناك من عاش آباؤهم وكانوا في أسفل الدركات.

وقد قيل لجعفر الصادق: لم أوتم النبي صلى الله عليه وسلم قال: لئلا يكون لأحد عليه فضل.

* * *

البشرى برحمة الله

الإسلام دين يدعو إلى السماحة وإلي الأمل وإلي إعمار الأرض كل ذلك في إطار ما أحل الله ويدعو إلى البشارة بالخير والبشر والاستبشار وينهي عن العسر والتنفير.

مفهوم البشارة: هي الخبر الذي يدخل السرور على قلب صاحبه فتظهر أثاره علي الوجه.

البشير: هو طلاقة الوجه وانفراجه وتبسمه من الفرحة، أما التبشير يكون بالخير والشر وفي الشر إذا قيد.

قال تعالى{ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾} [الانشقاق: ٢٤].

أما الاستبشار فيكون قبل حدوثه إذا كان الإنسان علي ثقة من حدوثه.

قال تعالى:{ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ} [آل عمران: ١٧٠ - ١٧١].

حال الرسل، أرسلوا مبشرين ومنذرين.

قال تعالى:{ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ } [الكهف: ٥٦].

وقد جاءت البشرى من الله لمريم.

قال تعالى:{ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾} [آل عمران: ٤٥].

وجاءت البشري أيضاَ لزكريا قال تعالى:{ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ

يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)} [آل عمران: ٣٩].

وجاءت البشري للخليل إبراهيم.

قال تعالى:{قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} [الذاريات: ٢٨].

وجاءت البشرى لأولياء الله، بقوله:{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [يونس: ٦٢ - ٦٤].

قال ابن عباس بشري الحياة الدنيا من الله وعند الموت تأتيهم ملائكة الرحمة بالبشري من الله وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن يعرجون بها إلى الله وتزف كما تزف العروس وتبشر برضوان الله جل وعلا.

من ألوان البشرى أيضاً: يوم بدر قال تعالى:{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ} [آل عمران: ١٢٦].

وجاءت البشرى بعيسي قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} [آل عمران: ٤٥].

وجاءت بشري عيسي برسول الله قال تعالى:{وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: ٦].

وبشر النبي صلى الله عليه وسلم بالعشرة المبشرين بالجنة، وجاءت البشري للصابرين بقوله:{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦].

وبشر النبي صلى الله عليه وسلم المشاءين في الظلم فقال:{بشر

المشاءين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة} صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم :{يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا}.

وجاءت البشري للمؤمنين كما قال ربنا:{إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾} [فصلت: ٣٠].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:{إن الدين يسر... وقاربوا وأبشروا}.

وجاءت البشري للشهداء بقوله:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾} [آل عمران: ١٦٩].

قال سعيد بن جبير: بعد أن دخل الجنة طلبوا من الله.

بشري جبريل للرسول صلى الله عليه وسلم :{بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل وإن سرق وإن زنا؟ قال نعم}.

البشارة بالجنة لأصحاب القلوب الصافية النقية كما قال أنس بن مالك رضى الله عنه : كنا جلوسًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أنه يدخل علينا رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه وتكرر الأمر ثلاث مرات فما كان من ابن عمر إلا أن افتعل وتظاهر أن هناك خلافًا بينه وبين أبيه وأراد أن ينزل ضيفا علي هذا الرجل حتى ينظر في حاله ومكث عنده ثلاث ليالٍ إلا أنه لم ير أنه يزيد في العبادات في شيء ولم يفعل شيئا مبالغا فيه فما كان من ابن عمر إلا أنه بصره بحقيقة القول وبسبب المبيت عنده.

ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم عنه أنه من أهل الجنة فقال له ابن عمر يا عم لم أرك تزيد علي أحد في العبادة فقال الرجل: هو كما رأيت إلا أنني حينما أبيت ليلتي فإن قلبي يكون صافيا ولا أحمل فيه شيئاً لأحد [1].

* * *

(1) مفاهيم دينية (بتصرف كبير).

مصاحبة المؤمنين... طريق الخير

كل إنسان في هذه الدنيا يبحث عن الخير، ليس المقصود بالخير ما يعود عليك بمنفعة مادية وفقط ولكن الهدف الرئيسي والطريق الرئيسي الموصل للخير يتمثل في صدق، أمانة، عفة، وفاء إلى غير ذلك عن طريق مجالسة ومصاحبة أهل الإيمان.

المؤمن حبيب الله تبارك وتعالي مهما كان وضعه الاجتماعي أو المالي فالدنيا بكل ما فيها من مال وجاه وسلطان لا تساوي عند الله جناح بعوضة ولو كانت تعادل عند الله جناح بعوضة ما سقي الكافر منها شربة ماء، أما المؤمن فهو أثقل عند الله من جبل أحد.

وفي صحيح مسلم:{إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم} فالميزان عند الله ليس ميزان لحم وشحم أو جاه أو سلطان أو ألوان وأحساب وأنساب ولكن كما قال الله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

لهذا جاء الأمر من الله جل وعلا لنبيه أن لا يصرف نظره عن المؤمنين لأنهم أحبوا الله وأحبوا دين اللـه وأقبلوا علي الله جل وعلا.

قال تعالى:{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ} [طه: ٨٤].

وقال تعالى:{وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾} [الأنعام: ٥٢].

روي في سبب نزول هذه الآية، أن الأقرع بن حابس وغيره جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجدوه يجلس مع صهيب وعمار

وبلال وخباب وغيرهم من الضعفاء فطلبوا لهم مجلسا ولغيرهم مجلساً مع مكاتبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ذلك فتركهم ثم كان يقول سلام عليكم كتب ربكم علي نفسه الرحمة فهي رحمة تفضل وعطاء ومنة من الله جل وعلا وهذه الرحمة لا يطرد منها أحد.

هذا هو الإسلام الذي جعل بلالاً الحبشي مؤذناً، شرف ما بعده شرف وأعلي من شأن صهيب الرومي مما جعل عمر يقول عن أبي بكر.. أبو بكر سيدنا أعتق سيدنا أي بلال.

هذا هو الإسلام الذي يكرم كل من يمت له بصلة حتى ولو كان حيواناً كما في سورة الكهف:{ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾} [الكهف: ١٨ - ٢٢].

وقد كرم الإسلام المرأة ورفع من شأنها قال تعالى:{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾}

[المجادلة: ١].

أما بدون الإسلام فالإنسان لا يساوي شيئاً هذا ما حدث في قصة ابني أدم حيث جاء غراب معلماً قال تعالى:{فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾} [المائدة: ٣١].

فيستفاد من ذلك محبة أهل الإيمان والتواضع لهم وعدم الكبر عليهم والعدل فيما بينهم.

وإليك ما حدث مع عبد الله بن مكتوم قد أسلم بمكة وهو ضرير، لما نزلت الآية الكريمة:{لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا } [النساء: ٩٥].

قال: أي رب أنزل عذري فأنزل الله:{غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ}.

وفي معركة القادسية كان معه راية ولواء وقال: أنا ضرير لا أفر كما تفرون.

وفي صحيح مسلم أن أبا سفيان بن حرب أتي علي نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم صهيب وبلال وسلمان فقالوا والله ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها فقال أبو بكر: تقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم فأتي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :**{إن كنت قلت ذلك لعلك أغضبتهم فأغضبت ربك}** فأتاهم فسألهم فقالوا: لا.

يغفر الله لك يا أخي.

فضل الزواج

الزواج، سنة من سنن الأنبياء وإذن من رب الأرض والسماء.

قال تعالى:{وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾} [النور: ٣٢ - ٣٣].

النوع البشري بطبيعته يميل إلى غيره فالرجل يشتاق إلى المرأة وكذلك المرأة تحتاج للرجل.. قال تعالى:{وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾} [الذاريات: ٤٩].

والأسرة شركة بين طرفين وهو من أجل الشركات ينتج عنها أرباح وخسائر فالربح يكمن في استقرار الأسرة وتكاثر الذرية الصالحة.

قال تعالى: علي لسان زكريا:{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾} [آل عمران: ٣٨ - ٤٠]، وقال أيضاً:{رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾} [الصافات: ١٠٠].

كما جاء علي لسان إبراهيم وقد كان ابن عباس يقول: إني لأتزين لزوجتي كما تتزين لي.

أما الخسران فيكمن في الشجار بين الزوجين ووجود الذرية الفاسدة

قال ربنا:{وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾} [الكهف: ٨٠].

فالأسرة مثلها كمثل السفينة لابد لها من ربان أو قبطان وهذا يتمثل في الزوج، والقبطان لابد له من مساعد وهذا يتمثل في الزوجة ولكن لكل مسؤولياته وحدوده فهما لا يتناطحان ولا يتشاجران ولا يتخالفان فهما حلفاء وليس خلفاء.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:{كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته}.

فالزواج طاعة لله رب العالمين، وقربه لقضاء الوطر فيما أحل الله جل وعلا ولا سيما حينما تكون البداية من مسجد من بيوت الله مبني علي طاعة الله فلك ما لك من الثواب، بعيدا كل البعد عن المعصية التي حرمها الله جل وعلا. وقد أورد القرطبي في تفسيره في سورة النساء:{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾} [النساء: ١٤٠]، أن عمر بن عبد العزيز تفقد الرعية ذات مرة فوجد فئة من الناس تشرب الخمر ومعهم رجل صائم لم يشرب إلا أنه أراد أن يقيم عليه الحد واستدل بقول الله تعالى:{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ} [النساء: ١٤٠].

والإنسان بطبيعته لا يتشدق في معاملاته وتصرفاته، فهذا واحد أراد

أن يلبس زوجته ليلة عرسها (شوال) فلما سئل في ذلك، قال: لقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة في (شَوَّال) ولكن الصحيح أنه تزوجها في شَوال.

والمرأة يجب عليها أن تكون واسعة الصدر حانية علي زوجها فقد حدث شجار بين زوج وزوجته فقال:

إن النساء شياطين خلقن لنا ::: نعوذ بالله من شر الشياطين

فكانت زوجة عاقلة حكيمة تريثت في ردها فأجابته بقولها:

إن النساء رياحين خلقن لكم ::: وكلكم يشتهي شم الرياحين

وقد كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم يحسن اختيار الأسماء فحينما أنجبت فاطمة ولداً سمته حربا فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو حسن ولما ولدت الثاني قالت: حربا فقال: بل حسين فلما ولدت الثالث قالت: حرباً قال: بل هو محسن، فالاسم يحمل في طياته، الحسن الظاهري والباطني وحسن الأخلاق، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم :{وحبب إلى من دنياكم الطيب والنساء}.

* * *

التغيير سنة من سنن الله في خلقه

التغيير والتبديل سنة من سنن الله في خلقه، في كونه، في عباده، في جميع مخلوقاته، فأمر الله تعالى بين الكاف والنون إذا قال للشيء كن فيكون فسبحان من يغير ولا يتغير ودوام الحال من المحال ومرضاة الناس غاية لا تدرك.

وأصل الخلق موت ثم حياة ثم موت، بدأ الإنسان ضعيفاً ثم قوياً ثم ضعفاً وشيبة وفي ذلك.

يقول ربنا: {ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ} [الروم: ٥٤].

وأخبر أيضاً: {وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾} [النحل: ٧٨].

فالإنسان كان في حيز العدم ثم أحياه الله ثم إن عاجلاً أو آجلاً سيموت، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾} [الجمعة: ٨].

وهكذا يولد الإنسان صغيراً ثم يكبر ويأتي ملك الموت إلى ابن آدم عند موته قائلاً: يا بن آدم طوفت لك المشارق والمغارب أبحث لك عن كسرة خبز تأكلها فلم أجد لك، يا بن آدم طوفت لك المشارق والمغارب أبحث لك عن نفس تتنفسه فلم أجد لك، يا ابن آدم طوفت لك المشارق والمغارب أبحث لك عن خطوة تخطوها فلم أجد لك.

كذلك الأمر يتبدل ويتغير من الصحة إلى المرض فلم يشعر الصحيح

بقيمه صحته إلا بعد مرضه وكما يقال: (الصحة تاج علي رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضي) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :{اغتنم خمسا قبل خمس...، وصحتك قبل مرضك}، كذلك الأمر يتبدل ويتغير بين الغني والفقر.

قال تعالى:{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ} [فاطر: ١٥ - ١٧].

فقد كنت غنياً فأفقرك الله، وقد كنت فقيراً فأغناك الله.

وفي الحديث القدسي:{إن من عبادي من لا يصلح حاله إلا الغني ولو أفقرته لفسد حاله وإن من عبادي من لا يصلح حاله إلا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله}.

كذلك التبديل والتغيير بين الشمس والقمر!، هل يجتمعان؟!{ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [يس: ٤٠].

الشمس خروجها من مشرقها، والغروب في نهاية اليوم، القمر في كسبه للضوء من الشمس وهكذا.

قال تعالى:{وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا} [النبأ: ١٠ - ١١].

وهكذا الأمر يتبدل ويتغير في الليل والنهار، قال تعالى:{إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

وقال تعالى:{ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟

لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } [فصلت: ٣٧].

قال تعالى: {قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢)} [القصص: ٧١ - ٧٢].

كذلك الحال في اختلاف الفصول، في الصيف والشتاء فالناس لا تستطيع المعيشة علي نمط واحد لكن في حاجة إلى دفء الشمس وفي حاجه إلى برد الشتاء وهكذا يتضح: أن التغيير سنة من سنن الله تبارك وتعالي في خلقه.

* * *

اليأس مما في أيدي الناس

الناس في هذه الحياة الدنيا يتفاوتون في التفكير وفي العمل وفي التدبير، كل واحد له نظام يختلف عن الأخر مما يجعل البعض يسخط علي حياته ويتطلع إلى الناس.

روي الحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الإسناد - أن رجلاً أتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوصني وأوجز فقال النبي صلى الله عليه وسلم :{**عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغني وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر**}.

فكن مثل هذا الرجل الموفق الذي سأل وأجابه النبي صلى الله عليه وسلم ولجميع أحبابه الذين يرجو لهم العزة والكرامة بين الناس حتى يتحقق الإيمان فيهم.

قال تعالى:{وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون: ٨].

ومعني الوصية:

إذا أردت أن تكون غنياً عن الناس، لا تمدن عينيك إلى ما في أيديهم من حطام أو طعام، لأن الناس عادة لا يحبون الذي ينازعهم ما في أيديهم، وكما جاء في الحديث عند ابن ماجه من حديث سهل بن سعد الساعدي جاء رجل فقال: يا رسول الله دلني علي عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال صلى الله عليه وسلم :{**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**}.

قال الحسن البصري رحمه الله: (لا يزال الرجل كريماً علي الناس حتى يطمع في دنياهم فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه).

وقال أعرابي لأهل البصرة: من سيدكم؟ قالوا: الحسن، قال: بما سادكم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه واستغني هو عن دنياهم فقال ما أحسن هذا.

قال تعالى{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾} [طه: ١٣١]، وقال أيضاً:{ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾} [النساء: ٥٤].

وقال أيضاً علي لسان الذين يريدون الدنيا:{يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [القصص: ٧٩].

وقال أيضاً:{وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾} [النساء: ٣٢].

وقال أيضاً:{لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾} [النساء: ٧].

والمعني: واسألوا الله من فضله، قال سعيد بن جبير: العبادة ليس من أمر الدنيا وقيل سلوه التوفيق للعمل بما يرضيه، وقد قال ابن مسعود رضى الله عنه: إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وما من يوم إلا وملك ينادي: يا ابن أدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك.

دخل علي بن أبي طالب رضى الله عنه المسجد فقال لرجل: أمسك

عليَّ بغلتي فأخذ الرجل لجامها ومشي وخرج عليّ بن أبي طالب بدرهمين كي يعطيهما الرجل فلم يجده فبعث علي إلى السوق لشراء لجام فاشتراه بدرهمين فقال عليّ: إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد علي ما قدر له.

وعند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه:{**ليس الغني عن كثرة العرض وإنما الغني غني النفس**}.

وعند البخاري ومسلم من حديث ابن عباس:{**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغي لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله علي من تاب**}.

موقف:

قال حاتم الأصم لأولاده ذات مرة إني أريد أن أحج فبكوا وقالوا إلى من تكلنا وكانت له بنت فقالت: دعوه يذهب فليس برازق فخرج فباتوا جياعا فوبخوها فمر بهم أمير البلد فسأل عن هذا البيت؟ فقال بيت من هذا؟ فقالوا بيت حاتم الأصم فطرق الباب وطلب كوبا من ماء فشرب ثم ألقي قطعة من ذهب في حجر الدار وقال: من أحبني فليتبعني ففعلوا مثلما فعل من أحب ومن لم يحب وبعد ما مشي بكت البنت بكاء شديداً فقيل لها: لم ذلك؟ قالت: لآن مخلوقاً نظر إلينا فاستغنينا فكيف لو نظر الخالق إلينا.

* * *

الأنبياء.. ورعاية الأغنام ثم رعاية البشرية جمعاء

يتفاوت الناس في هذه الحياة الدنيا في درجاتهم ومناصبهم وأعمالهم وربما من كان يعمل في عمل له وجاهته ومكانته بين الناس ينظر إلى غيره من الصنف الآخر بعين الازدراء والاحتقار والسخرية وهذا المنطق وهذه النظرة ليست صحيحة علي الإطلاق وكل عمل يرضي الله ورسوله وكسبه حلال به ينال الإنسان أعلي الدرجات عند الله وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم :**{إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم}**، وكما أخبر أيضا:**{رب عبد أشعث أغبر لو أقسم علي الله لأبره}**.

رعي الغنم سمة الأنبياء:

بالنظر إلى أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام نري أن الله قد اصطفاهم واختارهم من بين الناس وبالرغم من ذلك بعثوا رعاة للغنم فمن خلال التعريف بأنبياء الله بصفة عامة وبنبينا بصفة خاصة نقول: إن الأنبياء رعاة للغنم.. رعي الغنم سمة الأنبياء.

روي البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قال:**{ما بعث الله نبياً إلا وقد رعي الغنم}** فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال:**{وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط}**.

والمتتبع لتاريخ الأنبياء يجد أن للغنم دوراً في هذا التاريخ:

قصه الفداء (إبراهيم وإسماعيل):

ما حدث من سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل بعد أن رأي في المنام

أنه يقوم بذبح ولده إلا أن الله فداه بذبح عظيم، كبش نزل من السماء.. قال تعالى:{ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾} [الصافات: ١٠٤ - ١٠٥].

نبي الله وكليمه موسى:

فموسي عليه السلام وهو في الوادي المقدس المبارك المسمي (طوي) عند جبل الطور بسيناء حال المفاجأة الكبرى جري هذا الحوار كما في سورة طه:{وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾} [طه: ١٧ - ١٨].

موسى عليه السلام في (مدين) في شبه الجزيرة جهة الشمال بالقرب من خليج العقبة قبالة تبوك.

ولما ائتمر القوم بموسي وتوجه تلقاء مدين وقعت أحداث كان للغنم فيها نصيب، فقد سقي للمرأتين ثم دعي إلى بيت أبيهما الشيخ الكبير وانتهي الأمر بالزواج.

قال تعالى:{ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾} [القصص: ٢٣].

نبي الله داود وتصور الخصمان:

داود عليه السلام تصور عليه الخصمان مكان عبادته ليحكم بينهما في شركة لأحدهما تسع وتسعون نعجة والآخر نعجة واحدة، وأراد صاحب النصيب الأكبر أن يستأثر بالشركة كلها لنفسه فحكم داود وعدل وبين عبرة الحياة.

قال تعالى:{قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤)} [ص: ٢٤].

حكم داود وسليمان في الحرث التي نفشت فيه غنم القوم:

قال تعالى في سورة الأنبياء:{وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨)} [الأنبياء: ٧٨]، انظر في ذلك قصص القرآن، صفوة التفاسير.

ولقد كان للرأي دور أساسي في التاريخ الإنساني ولا زال للأنعام ارتباطها الوثيق بحياة الإنسان.

قال تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)} [يس: ٧١ - ٧٢].

مفهوم رعي الغنم في شخص النبي صلى الله عليه وسلم :

هل أتاك حديث راعي الغنم الصغير اليتيم؟ محمد بن عبد الله؟!

فقد ورث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن أبيه خمسة من الإبل، وقطيعا من الغنم، وجارية هي أم أيمن، وتلك ثروة - في عرف زمانها - ضئيلة إلا أن الله تعالى هيأ له الأسباب وعمل سيدنا محمد في رعي الغنم؛ إذ ما من نبي إلا وعمل برعي الغنم فإياك ثم إياك أن تنظر إلى أي إنسان في مهنه بسيطة وتقلل من شأنه ولا تحترمه.

الحكم والمقاصد من رعاية الأنبياء للغنم:

قمة التواضع فهم يتعاملون مع الحيوان ويرفقون به فمن باب أولى تواضعهم مع البشر ورفقهم به، قال صلى الله عليه وسلم :{إن الله

أوحي إليهم أن تواضعوا} رواه مسلم.

يكسب أصحابها اليقظة دائماً حتى لا يعدو ذئب علي شاة منها والأنبياء عندهم اليقظة دائما ولاسيما نبينا صلى الله عليه وسلم.

الحرص علي المصلحة والصبر علي المشاق - فهي تحتاج إلى جهد جهيد فالمحافظة عليها ومن ذهابها يمنة ويسرة.

وفيها: أن البشر ليسوا علي عقل وفطنه واحدة فهم يتفاوتون في العقول وفي الاستجابة وسرعة الإيمان.

بكاء النبي صلى الله عليه وسلم علي نفس تفلتت من بين يديه دون أن تؤمن به.

عدم دعائه صلى الله عليه وسلم علي من لم يؤمن به لعل الله يخرج من أصلابهم أن يقولوا لا إله إلا الله كما حدث مع الوليد بن المغيرة وهو مشرك يخرج منه سيف الله المسلول خالد بن الوليد والأمثلة كثيرة.

رعي الغنم يعطي الفرصة علي التأمل في مظاهر الطبيعة ونظام الكون قدرة الخلاق جل وعلا.

وبالرغم من أن الأنبياء قاموا برعي الغنم إلا أن الله جعلهم قادة للشعوب والأمم.

وبالرغم من أنهم رعاة للغنم، إلا أنهم أفضل خلق الله وأخرج الله بهم الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى نور العدل والإسلام.

* * *

نظرات في صلاتي الكسوف والخسوف

تمر البلاد أحياناً بحالة تؤدي إلى خسوف القمر كلياً أو جزئياً وإلي كسوف الشمس كذلك مما يجعل الكثير من الناس يتساءل عن السبب في ذلك؟؟ وما الذي يجب علي المسلم؟؟ وما هي الكيفية التي تؤدي لمثل هذا الأمر؟ هذه التساؤلات وغيرها دارت في مخيلة كثير من الناس مما جعلنا نتحدث عن صلاتي الكسوف والخسوف - ولم لا - حيث يقول ربنا في سورة النمل:{ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾} [النمل: ٦٢].

أي من الذي يجيب المكروه ويدفع عنه الضر والبلاء ويجعلكم سكان الأرض تعمرونها فما أقل تذكركم فالكون وما فيه إنما هو ملك لله فالليل والشمس والقمر والنهار من آيات الله والكل مطالب بالسجود لله قال جل شأنه:{ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾} [فصلت: ٣٧].

فكل مخلوق من هذه المخلوقات له وظيفته في هذا الكون كما أمره الله بها، قال تعالى:{ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾} [يس: ٣٧ - ٤٠].

والمعني إن في ذلك علامة علي قدرة الله في التبادل بين الليل والنهار

والشمس والقمر حتى إذا ما كان يوم القيامة تنقطع الشمس وتسجد تحت عرش الرحمن والقمر له منازله وهي ثمانية وعشرون منزلاً في ثمانية وعشرين ليلة والعرجون كغصن النخل اليابس.

معني الكسوف:

المراد بالكسوف في نظر الفقهاء هو كسوف الشمس ويقال: (انكسفت) لورود الحديث بذلك ويقال أيضا: (كسفت)، وهو نادر.

وكسوف الشمس هو ميلها إلى السواد بسبب حيلولة القمر بينها وبين الأرض.

معني الخسوف:

ذهاب ضوؤه أو بعضه، بسبب حيلولة الأرض بينه وبين الشمس وإذا قرأت قول الله تعالى في سورة القيامة:{وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ} [القيامة: ٨] فإنه يقصد بها أحد أمرين.

الأول: أن يقال: خسف القمر ولا يقال: كسف، وإذا اختص القمر بالخسوف فإنه يشعر اختصاص الشمس بالكسوف.

الثاني: أن يكون أراد أن الذي يتفق للشمس كالذي يتفق للقمر وقد سمي في القرآن كذلك فكذلك الشمس.

حكمها: فالجمهور يقول علي أنها سنة مؤكدة، خلافا لأبي حنيفة وأبي عوانة أنهما قالا بوجوبها.

ما يستحب لها: فقد ذكر الفقهاء لصلاة الكسوف والخسوف كيفيات متعددة تبعاً للروايات الواردة في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن عندما يحدث هذا الأمر يجب علي كل مسلم أن يفزع وأن

يهرع إلى الصلاة.

لما رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أن النبي صلى الله عليه وسلم صلي عند كسوف الشمس. ثم قال:{إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنه آيتان من آيات الله يريهما عبادة. فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة}.

ولنعلم أنه ليس لصلاة الكسوف آذان ولا إقامة ولكن يستحب أن يقال: (الصلاة جامعة).

لما رواه أبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها ولقول ابن عمر: (وكسفت الشمس فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً فنادي إن الصلاة جامعة).

ويستحب أن تكون في جماعة في المسجد لفعل النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يتيسر جاز أن تصليها وحدك.

يستحب للإمام (عند الشافعية) أن يخطب في الناس بعد الصلاة كخطبة الجمعة يعظهم ويذكرهم خلافاً للمالكية والحنفية والحنابلة في عدم استحباب الخطبة، وإنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك للرد علي من قال: إن الشمس انكسفت لموت إبراهيم.

يري المالكية و الحنفية: أن الجماعة في صلاة الخسوف غير مستحبة لعدم ثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق صحيح ولوجود المشقة بخلاف صلاة الكسوف؟

قيل: يستحب الإسرار في صلاة الكسوف والجهر في الخسوف ولكن قال ابن العربي الجهر أولي لأنه صلاة جامعة ينادي لها ويخطب فأشبهت العيد.

كيفيتها:

الأولي: أنها تصلي ركعتين كسائر النوافل. إلا أنها ينبغي فيها تطويل القراءة والركوع والسجود.

لما أخرجه أحمد والنسائي من حديث قبيصة الهلالي قال: انكسفت الشمس، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلي ركعتين، فأطال فيهما القراءة. فانجلت. فقال:**{إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فصلوا كأحدث صلاة صليتموها من المكتوبة}**، وقد قال ذلك بعد صلاة الصبح.

وبهذه الكيفية أخذ الحنفية وكثير من الفقهاء، علي اختلاف مذاهبهم.

الثانية: أن تصلي ركعتين، في كل ركعة ركوعان. كما روي البخاري من حديث أبي بكرة قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكسفت الشمس، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى دخل المسجد، فدخلنا فصلي بنا ركعتين حتى انجلت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم :**{إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد فإذا رأيتموهما فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم}**.

استدل بقوله (يجر رداءه) علي أن جر الثوب لا يذم إلا ممن قصد به الخيلاء ويستفاد من قوله فصلي بنا ركعتين (زاد النسائي) كما تصلون كصلاة النافل.

ويستفاد من قوله: حتى انجلت استدل به علي إطالة الصلاة حتى يقع الانجلاء وأجاب الطحاوي بأنه قال فيه: (فصلوا وادعوا) فدل علي أنه إن سلم من الصلاة قبل الانجلاء يتشاغل بالدعاء حتى تنجلي.

قال (ابن دقيق العيد): جاز أن يكون الدعاء ممتداً إلى غاية الانجلاء

بعد الصلاة فيصير غاية للمجموع ولا يلزم منه تطويل الصلاة ولا تكريرها.

أما ما موقع عند النسائي من حديث النعمان بن بشير قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يصلي ركعتين ركعتين ويسأل عنها حتى انجلت.

احتمل أن يكون معني قوله ركعتين أي ركوعين وقد وقع التعبير عن الركوع بالركعة في حديث الحسن (خسف القمر وابن عباس بالبصرة فصلي ركعتين من كل ركعة ركعتان).

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :**{إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد}** وذلك أن ابنا للنبي صلى الله عليه وسلم يقال له: إبراهيم، وكان إبراهيم من ماريه القبطية التي أهداها له المقوقس عظيم مصر. وقد ذكر الجمهور من أهل السير أنه مات في السنة العاشرة من الهجرة، فلما مات إبراهيم قال الناس في ذلك: كسفت الشمس لموت إبراهيم ولما صلي النبي صلى الله عليه وسلم وانجلت الشمس قال الناس: إن الشمس والقمر لا ينكسفان إلا لموت عظيم من العظماء - ليس كذلك.

في هذا الحديث: إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض وكانوا يعتقدون أن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض من موت أو ضرر فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه اعتقاد باطل.

وقوله (آيتان) أي علامتان من علامات الله الدالة على وحدانية الله وعظيم قدرته أو علي تخويف العباد من بأس الله وسطوته ويؤيده قوله: {وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء: ٥٩].

وقوله: (فإذا رأيتموهما) أي إذا رأيتم كسوف كل منهما لاستحالة وقوع ذلك فيهما معا في حالة واحدة عادة وإن كان ذلك جائز في القدرة الإلهية.

وقوله (فقوموا فصلوا) يستفاد منه.

أي ادعو إلى الله واطلبوا رحمته وخافوا عذابه لأن الذنوب سبب للبلايا.

أن الجماعة ليست شرطًا فيها وليست مربوطة علي الإمام.

استدل به أنه لا وقت معين لصلاة الكسوف وإنما هي في أي وقت واستثني الحنفية وقت الكراهة، ولكن رجح بأن المقصود في إيقاع هذه العبادة قبل الانجلاء حتى لا يفوت المقصود.

وقوله (ولا لحياته):

فائدة ذكر الحياة دفع توهم من يقول: لا يلزم من نفي كونه سببا للفقد أن لا يكون سببا للإيجاد.

وفي حديث عائشة أنها قالت: (كسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وصلي رسول الله بالناس فأقام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول، ثم سجد فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الثانية مثلما فعل في الأولي ثم انصرف وقد انجلت الشمس فخطب الناس، فحمد الله وأثني عليه ثم قال:{إن الشمس... فإذ رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا}. ثم قال:{يا أمة محمد والله من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته}.

{يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً}.

وعند مسلم عن جابر وعائشة: أنه صلي ثلاث ركوعات ومن حديث ابن عباس أربع ركوعات وعند أبي داود والبزار من حديث علي وأبي خمس ركوعات.

وقوله: فأطال القيام أنه قرأ في الركوع الأول نحواً من سورة البقرة أي القيام الأول من الركعة الثانية آل عمران.

وقوله (فخطب الناس).

مشروعية الخطبة للكسوف وأن الانجلاء لا يسقط الخطبة، ولو انجلت أثناءها أتمها كالنوافل أو كهيئتها أما لو انجلت قبل الصلاة تسقط الصلاة والخطبة.

(ما من أحد أغير):

قال ابن فورك ما أحد أكثر زجرا عن الفواحش من الله.

(وتخصيص العبد والأمة) بالذكر لحسن الأدب مع الله لتنزهه عن الزوجة والأهل ويخص الزنا لأنه أقبح المعاصي وأعظمها.

وقوله (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا) لو علمت سعة رحمه الله وما فاتكم، وانتقامه من أهل الإجرام والمقصود بالقلة العدم واستولي عليكم الحزن وأمروا باستدفاع البلاء بالذكر والصدقة والصلاة.

وفي رواية: (أبي بكرة قوله يخوف بها عباده) قال ابن دقيق العيد: ربما يعتقد البعض أن الذي يذكره أهل الفساد ينافي قوله فلله أفعالاً تجري حسب العادة والعلماء بالله بقوة اعتقادهم يعلمون أن الله يفعل ما يشاء وإذا وقع شئ غريب حدث عندهم الخوف.

قال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم:

إن الله قد أجري العادة بكسوف الشمس لأسباب يعقلها أهل الحساب ولكن هذا لا يعني أنهم يصيبون في كل ما يقولون بل قد يخطئون في حسابهم فلا يصدقون ولا يكذبون التخويف بذلك حاصل علي كل تقدير من يؤمن بالله رب العالمين واليوم الآخر الذي يجمع الله فيه الناس أجمعين).

حكمها: سنة مؤكدة عند الجمهور خلافاً لأبى حنيفة وأبى عوانة، قالا بوجوبها.

كيفيتها: كركعتى السنة ركعتين في كل ركعة ركوعان، عند مسلم جابر وعائشة ثلاث ركوعات (بن عباس) وعند أبى داود والبزار من حديث على وأبى خمس ركوعات.

الانجلاء: لو انجلت الشمس أثناء الصلاة أتمها بهيئتها أو كالنوافل ولا تسقط الخطبة أما لو انجلت قبل الصلاة تسقط الصلاة والخطبة.

لعله بعد هذا البيان يكون قد زال الكسوف عن الشمس والخسوف عن القمر وبذلك تتضح رؤية الشمس والقمر لكل إنسان بعد أن زالت الغشاوة وزال الكسوف والخسوف ويكون قد وضح الأمر وبذلك تكون الشمس ظهرت كظهورها في وهج النار والقمر في تمامه كليلة البدر.

وصدق الله حيث قال:{وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء: ٥٩].

* * *

كيف تعتمر وتزور

قال تعالى:{ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196)} [البقرة: ١٩٦].

قال صلى الله عليه وسلم :**{إن هذا البيت دعامة من دعائم الإسلام فمن حج البيت أو اعتمر فهو ضامن علي الله، فإن مات أدخله الجنة، وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنيمة}.**

النفس بطبيعتها تشتاق وتميل إلى زيارة بيت الله الحرام، وهناك خطوات عملية يجب أن تعرف كي تصل إلى عمرة صحيحة، وزيارة مباركة بإذن الله، ويتمثل هذا الأمر في:

أولا: قص الشعر الداخلي والأظافر ثم اغتسل وطيب جسدك ثم البس ملابس الإحرام ثم انوي.

(لبيك اللهم بعمرة لا رياء فيها ولا سمعة) ولا مانع من الاشتراك بقولك: (فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني)، ثم صلي ركعتين سنة للوضوء ثم ابدأ بالتلبية رافعا بها صوتك (لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك... إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك)، خلافا للنساء ومتى صرت محرماً فلا تفعل محظورا من محظورات الإحرام [1].

---

(1) انظر: القول المبين في تاريخ الكعبة ومسجد خاتم النبيين (للمؤلف).

ثانيــاً: عند ارتدائك لملابس الإحرام كن مضطبعاً أي (كاشفاً) عن كتفك الأيمن واضعاً وسط الرداء تحت الإبط الأيمن وطرفيه علي الكتف الأيسر وعند رؤيتك للكعبة هلل وكبر واحمد الله وقل: اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيما ومهابة وبرا وأمنا.

ثالثــا: عند بداية القرب من الطواف وأنت متوضأ (اقطع التلبية) واجعل البداية من الحجر الأسود خارجا عن حجر إسماعيل جاعلا البيت عن يسارك بعد رفع يديك تجاه الحجر قبل البدء في الطواف بادئا من الحجر منتهيا إليه وهذا يعد شوطا ولا مانع من طيب الكلام من الدعاء وقراءة القرآن داعيا بين الركن اليماني والحجر:{رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [البقرة: ٢٠١].

ملاحظة:

يُسن الرمل في الطواف في الأشواط الثلاثة الأولي وهو تقارب الخطي في السير، وإن تيسر لك تقبيل الحجر في أي شوط من الأشواط فذلك فضل من الله ومنة وإلا أشر إليه بيدك اليمني.

رابعا: أداء ركعتي الطواف وفيهما لابد من ستر الكتفين مصلياً في مقام إبراهيم وإلا في أي مكان من المسجد ثم توجه إلى الملتزم بين الحجر الأسود وباب الكعبة وضع خدك وصدرك وتعلق بأستار الكعبة معترفا بذنبك.

خامســـاً: اشرب من زمزم وتضلع منها قدر استطاعتك لقول النبي صلى الله عليه وسلم :{**ماء زمزم لما شرب له**}، وادعو الله بخيري الدنيا والآخرة، وزمزم لا يتضلع منها منافق.

سادســا: السعي بين الصفا والمروة ثم ارجع إلى الحجر الأسود

واستلمه ثم توجه إلى الصفا وأبدا بما بدأ الله به قارئا:{إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ} [البقرة: ١٥٨]، جاعلا الكعبة تجاه صدرك وادعو بما شئت لك والمسلمين رافعا يديك قائلا: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو علي كل شئ قدير) مكررا ذلك ثلاث مرات، ثم توجه إلى المروة وتدعو بما شئت دون قراءة للآية مع الإسراع قليلا بين الميلين الأخضرين وهما معروفان ويسمي ذلك الهرولة ويكون ذلك للرجال دون النساء متمما سبعة أشواط بادئا بالصفا منتهيا بالمروة مع الإكثار من الدعاء: (اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم).

سابعاً: احلق رأسك وهو أفضل من التقصير لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثاً وبذلك تكون قد تحللت من عمرتك وأحل لك كل شيء.

ولا بأس من زيارة أماكن الشعائر التي تؤدي فيها الحج ولا بأس بطواف الوداع لعموم الحديث عند مغادرة مكة لقول النبي صلى الله عليه وسلم :{**لا ينفرن أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت**} متفق عليه، ولا يعفي منه الحائض والنفساء، وأكثر من دعائك: (اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي بالبيت.. وقد تركت بلدي وجئت إليك). وبذلك تكون قد تمت العمرة.

زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى في سورة النساء:{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا} [النساء: ٦٤]، فالمقصود من هذه الآية المجيء للنبي صلى الله عليه وسلم

أثناء حياته أما بعد مماته فلا ولكن من سوء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون الإنسان بهذه البقاع ولا يزور مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وهو من المساجد التي تشد الرحال إليها كما أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم :{**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، والمسجد الأقصى ومسجدي هذا**} وأخبرنا صلى الله عليه وسلم أيضا بحديث آخر:{**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**}.

وهناك خطوات اتبعها أثناء زيارتك للمسجد النبوي:

- أكثر من الصلاة والسلام عليه في الطريق.
- أكثر من الدعاء وذكر فضائل النبي.
- المعاهدة علي اتباعه:{وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ} [الأنفال: ١].
- دخول المسجد بالدعاء المأثور للمساجد.
- الصلاة في الروضة الشريفة.
- الوقوف للسلام متجهاً إلى القبر ناحية القبلة.
- ابتعد عن المقصورة ثلاث أمتار.
- سلم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأوصافه وأسمائه.
- بلغه السلام ومن بلغك أن تبلغه - انتقل لليمين قدر ذراع مسلماً علي الصديق.
- انتقل قدر ذراع لليمين مسلماً علي الفاروق.
- ولا بأس من زيارة قباء والبقيع وشهداء أحد.

وختامــاً: ودع المسجد بصلاة ركعتين فيه وزيارة قبر الحبيب صلى الله عليه وسلم. نسأل الله عز وجل التوفيق والقبول.

مقارنة بين يوم عرفة ويوم النحر

التفضيل من الله لحكمة يعلمها سبحانه فقد اقتضت حكمته أن يفضل بعض الشهور علي بعض ففضل رمضان وفضل بعض الليالي علي بعض، ففضل ليلة القدر، وفضل بعض الأيام علي بعض ففضل يوم الجمعة ويوم عرفة.

مقارنة بين يوم عرفة ويوم النحر:

سبب تسمية يوم عرفة بهذا الاسم:

قال الحافظ ابن كثير في التفسير

قال علي بن أبي طالب: بعث الله جبريل عليه السلام إلى إبراهيم فحج به حتى إذا أتي عرفة؟ قال: عرفْت؟ قال عرفت. وكان قد أتاها قبل ذلك فبذلك سميت عرفة فهي من (المعرفة).

قال العلامة القرطبي في التفسير:

سميت تلك البقاع عرفات لأن الناس يتعارفون بها (فهي من التعارف).

قيل: هبط آدم بالهند، وحواء بجدة فاجتمعا بعد طول الطلب بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمي بيوم عرفة والموضع عرفات (التعارف - الاعتراف).

* وقيل من العَرْف.

فهو مأخوذ من العرف وهي الرائحة الزكية.

نقول: وكل ذلك موجود في الحج.

- الوقوف بعرفة هو الركن الأعظم للحج.

ويبدأ من وقت الزوال أي بعد الظهر إلى آخر الليل ويكفي فيه جزء من النهار وجزء من الليل، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم (الحج عرفة).

يستحب الفطر فيه لمن وقف بعرفات لدفع المشقة عن الحجيج وقد شرب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم وهو واقف علي عرفات قدحاً فيه لبناً أو ماء أرسلت به أم الفضل كي تستبين به حقيقة الأمر فشربه النبي صلى الله عليه وسلم.

قال سفيان بن عيينة إن الحجيج يفطرون؛ لأنهم ضيوف الرحمن وزواره ولا ينبغي للكريم أن يجيع أضيافه.

وكان حكيم بن حزام رضى الله عنه يعتق عشية عرفة مائه رقبة وينحر مائة بدنه كي يتقووا علي الدعاء ولأنه يوم عيد لهم.

يوم عرفة يوم مغفرة الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث عائشة:{ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة؟ إنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء}.

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم :{ما رؤى الشيطان في يوم أصغر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة}.

وقد طلب النبي صلى الله عليه وسلم من بلال أن ينصت له الناس ثم قال صلى الله عليه وسلم :{قد جاءني جبريل وقال إن الله قد غفر لأهل الموقف جميعا} فقال عمر رضى الله عنه أهذا لنا خاصة أم لنا ولمن أتي بعدنا فقال صلى الله عليه وسلم :{لنا ولمن أتي من بعدنا} فقال عمر كثر خير الله وطاب.

- يوم عرفة يوم الإكثار من شهادة التوحيد:

شهادة التوحيد هي أصل دين الإسلام الذي أكمله الله تعالى في يوم عرفة لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له.. له الملك وله الحمد وهو علي كل شئ قدير، وهو خير الدعاء في يوم عرفة.

- يوم عرفة يوم تقرير حقوق الأخوة الإسلامية.

حيث وضح صلى الله عليه وسلم في خطبته حقوق الإنسان ماله وما عليه من حلال وما عليه من حرام ومن حقوق النساء.

- يوم عرفة يوم إكمال الدين وتمام النعمة:

قال الله تعالى:{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [المائدة: ٣].

قال ابن كثير: من تمام النعمة أن أكمل لهم دينهم فما يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين.

روي الشيخان عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود لعمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال وأي آية؟ قال:{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا} [المائدة: ٣]، فقال عمر إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة في يوم الجمعة.

قال الإمام النووي رحمه الله: لو قال رجل امرأتي طالق في أفضل الأيام قيل: يقع الطلاق في يوم الجمعة وقيل يوم عرفة.

- أيهما أفضل يوم الجمعة أو يوم عرفة؟

يوم الجمعة هو أفضل أيام الأسبوع، لأن فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وخير يوم طلعت فيه الشمس، أما يوم عرفة فهو من أفضل أيام العام لذا كان الجمعة أفضل أيام الأسبوع.

* إذا وافق يوم الجمعة يوم عرفة فهل له ميزات؟

- اجتماع اليومين الذين هما أفضل أيام العام.

- اليوم الذي فيه ساعة إجابة محققة (بعد العصر).

- موافقته ليوم وقفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- فيه اجتماع الخلائق، الحجيج بعرفات، وغيرهم في المساجد للصلوات يوم الجمعة يوم عيد إسبوعي ويوم عرفه عيد لأهل الموقف.

- إنه موافق ليوم إكمال الله تعالى لدينه.

- إنه موافق ليوم الجمع الأكبر والموقف الأعظم (يوم القيامة).

- أن الطاعة في هذا اليوم أكثر من غيره بل إن أهل الفسق والفجور يحترمونه.

- إن رب العزة يدنو في هذا اليوم من عباده فهم يتقربون بالدعاء وهو يتقرب بالدنو منهم بقبول الدعاء والمباهاة بهم فيزدادون إيمانا علي إيمانهم، ويفرحون بتوبتهم إلى ربهم.

- ما اشتهر أن اجتماع يوم عرفة يوم جمعة تعدل ثنتين وسبعين حجة باطل ولا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته والتابعين.

* أيهما أفضل يوم عرفة أم يوم النحر؟

يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أصحاب السنن:{**أفضل الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القرُ**} وهو اليوم الذي يقرون فيه بمني بعد طواف الإفاضة، قال الله تعالى:{وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾} [الفجر: ١ - ٣]، وأخبرنا ربنا في كتابه في سورة التوبة:{ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ } [التوبة: ٣].

فقد ذكر البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال:{**يوم الحج الأكبر يوم النحر**} ويوم عرفة يكون مقدمة ليوم النحر فيكون فيه الوقوف والتضرع والتوبة والابتهال.

ثم يوم النحر تكون الوفادة والزيارة ولهذا سمي طوافه طواف الزيارة لأنهم قد طهروا من ذنوبهم يوم عرفة ثم أذن لهم ربهم بالنحر وبالدخول إلى بيته عليه وذبح القرابين وحلق الرؤوس ورمي الجمرات فعمل يوم عرفة كالطهور والاغتسال [1].

فضل أيام التشريق:

قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم:{**أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله**}.

قال الإمام النووي رحمه الله: أيام التشريق ثلاثة أيام بعد يوم النحر سميت بذلك لتشريق الناس لحوم الأضاحي فيها وهو تقديدها ونشرها في الشمس.

قال ابن رجب الحنبلي أيام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيم أبدانهم بالأكل والشرب ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر وبذلك تتم النعمة وكلما

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد.

أحدثه شكرا علي النعمة كان شكرهم نعمة أخري، فيحتاج إلى شكر آخر ولا ينتهي الشكر أبدا [1].

أمور من الأهمية بمكان:

1- التكبير يكون من صبح يوم عرفة إلى آخر عصر أيام التشريق الثلاثة.

2- ذبح الأضاحي هو من بعد صلاة العيد وحتى آخر عصر أيام التشريق الثلاثة.

3- حضور ذبح الأضحية فقد ذبح النبي صلى الله عليه وسلم في حجته 63 بدنه ثم أعطي لعلي يكمل بقية المائة حيث في الحضور غفران للذنوب.

قال صلى الله عليه وسلم : **{يا فاطمة: قومي إلى أضحيتك فاشهديها فإنه بأول قطرة منها يغفر لكي ما قد سلف من ذنوبك}**.

4- جلد الأضحية وطمع الجزار: قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الحاكم من حديث أبي هريرة وحسنه الألباني:**{من باع جلد أضحيته فلا أضحية له}** صحيح الإسناد.

أي ثوابها ناقص إلا إذا احتفظ به ودفع ثمنه وتصدق به.

ولما رواه مسلم أن عليًا رضى الله عنه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقوم علي بدنه وأن أتصدق بلحومها وجلودها وحلالها، أي ما تلبسه الدابة لتصان به، وألا أعطي الجازر منها شيئاً: قال: ونحن نعطيه من عندنا).

(1) لطائف المعارف - لابن رجب الحنبلي.

- التذكرة بالفقير والمسكين والأرامل واليتامى:

فالأولان قد يجدان ويبحثان، والآخران لا يجدان و لا يبحثان.

قال الله تعالى:{ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ } [الحج: ٣٧].

بشري: أبشر يا فقير يا مسكين يا من لا تجد ما تضحي به فقد نلت الأجر والثواب لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد ضحي عنك فقد ذبح كبشين أقرنين أملحين فذبح الأول وقال: بسم الله اللهم هذا عني وعن أهل بيتي، وذبح الثاني وقال: اللهم هذا عني وعن من لم يضح من فقراء أمتي أ.هـ.

* * *

الفصل الثاني: أخلاقيات إسلامية

الفصل الثاني

أخلاقيات إسلامية

أركان الإسلام ومبادئ الأخلاق

مع شهر ربيع الأول وهو شهر مولد الحبيب صلى الله عليه وسلم يجدر بنا أن نتعرف علي شخصية النبي صلى الله عليه وسلم لا أقول من الناحية الخلقية ولكن من الناحية الخُلقية، نتعرف علي أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم حتى نتأسى بها ونقتدي بها فنحن في أمس الحاجة إليها ولا سيما في مجتمعنا وزماننا هذا، وأخلاق الإنسان جزء من عمله من خلالها يؤجر عليها أو لا.

الأخلاق جوهر الرسالات:

من الحقائق التي اتفق عليها العقلاء أن جميع الرسل عليهم السلام قد اشتملت دعوتهم علي كلمتين:

الكلمة الأولي:

هي دعوة الناس إلى عبادة الله جل وعلا حيث يقول ربنا في سورة الأنبياء:{وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾} [الأنبياء: ٢٥].

الكلمة الثانية:

هو دعوتهم بالتحلي بالفضائل ومكارم الأخلاق فكأن الرسالات التي خطت مجراها في تاريخ الإنسانية، وبذل أصحابها جهدا كبيرا في مد شعاعها وجمع الناس حولها ومعرفة الله ثم بيان مكارم الأخلاق وتمامها.

والعبادات التي في الإسلام واعتبرت أركان في الإيمان به ليست طقوسًا مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المشغولة،

ويكلفه بأداء أعمال غامضة وحركات لا معني لها... كلا وإنما هي أشبه بتمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة وأن يظل متمسكا بأهداب الفضيلة، مهما تغيرت أمامه الظروف وكثرت المشاق والصعاب

فإذا لم يستفد المرء منها ما يزكي قلبه ويهذب نفسه فقد هوي.

قال تعالى في سورة طه:{إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾} [طه: ٧٤].

ضعف الخلق دليل علي ضعف الإيمان:

الإيمان قوة عاصمة عن الدنيا، دافعة إلى المحرمات، ومن ثَمَّ فإن الله يدعو عباده إلى خير أو ينفرنهم من شر يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم.

فالرجل المعوج السلوك الذي يقترف الرذائل دون أن يعمل حساب لأحد. يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما روي الحاكم والطبراني:{الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر}.

ومن المعروف أن الخلق لا يتكون في النفس فجأة ولا يولد قويا ناضجا بل يتكون علي مكث وينضج علي مراحل وهذا سر ارتباطه بالنماء بأعمال متكررة والصلاة والزكاة وغيرها.

يقول الله تعالى:{لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾} [التين: ٤ - ٦].

والله فطر الناس جميعا علي كل ما هو خير لهم ثم تتغلب عليهم الأهواء والفتن فيقع في براثن الرذيلة.

والإسلام يري: أن البيئة لها دورها الرئيسي والفعال والتأثير في تكوين الخلق إما إلى الأحسن أو إلى الأسوأ وليس أدل علي ذلك من قصه الرجل الذي قتل (تسعة وتسعين نفسا) [1].

يقول الإمام ابن القيم (الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين).

وعند الإمام أحمد في مسنده أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله (إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصومها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال:{هي في النار} وكذلك العكس أيضا، فالمفلس الحقيقي هو من يأتي بكثير من الطاعات والحسنات ولكنها تذهب في مهب الريح ويصبح بدلا من أن يكون له يكون عليه

دائرة الأخلاق تشمل الجميع.

سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي المؤمنين أكمل إيمانا؟ قال:{أحسنهم خلقا} رواه الطبراني.

وعند مالك في موطئه أن الرسول صلى الله عليه وسلم حدد الغاية من مبعثه فقال:{إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق}، فالإكراه علي الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل، كما أن الإكراه علي الإيمان لا يصنع الإنسان المؤمن - فالحرية النفسية والعقلية أساس المسئولية، والإسلام مقدر هذه الحقيقة ويحترمها وهو يبني صرح الأخلاق.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه جابر ابن عبد الله:{إن من أحبكم وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسانكم أخلاقا}.

(1) انظر الكبائر للذهبي.

وهذا ابن عمر ذبحت له شاة وله جار يهودي فقال هل أعطيتموه؟؟ فظل يلح في السؤال؟ فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه}.

موقف: وقد حدث أن يهودياً كان له دين علي النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء يتقاضاه قائلاً: إنكم يا بني عبد المطلب قوم مطل!! فرأي عمر بن الخطاب أن يؤدب هذا المتطاول علي مقام الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم بسيفه، يبغي قتله لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أسكت عمر قائلا:{أنا وهو أولي منك بغير هذا، تأمره بحسن التقاضي، وتأمرني بحسن الأداء}.

وهكذا أمر الإسلام بالعدل ولو مع فاجر أو كافر وصدق الله حيث قال:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾} [الأحزاب: ٢١].

صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأثره في بناء المجتمع المسلم:

كلمة الصدق من الكلمات التي تطرق السمع فيرتاح لها القلب، وتنشرح بها النفس، وتهفو إليها المشاعر، لذا نري أن الله خلق السماوات والأرض بالحق، وطلب من الناس أن يبنوا حياتهم علي الحق، فلا يعملون إلا حقا ولا يقولون إلا صدقا.

أولا: معني الصدق:

هو مطابقة الخبر للواقع أي مطابقة ما ينطق به اللسان، لما هو مستكن في القلب والوجدان. أما من قال بعكس ذلك فلا يكون صادقاً بدليل أن المنافقين أظهروا خلاف ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الله تبارك وتعالي:{إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾} [المنافقون: ١].

ويكفي الصدق شرفاً، أن الله وصف به ذاته العلية فقال:{ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ} [الأنعام: ١٤٦].

ووصف به نبيه فقال:{وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ} [الأحزاب: ٢٢].

وقال أيضا:{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: ٨٧].

ووعد الصادقين ثواباً فقال:{لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ} [الأحزاب: ٨].

ثانياً: مظاهر الصدق في شخص النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد أجمع كل من خالط النبي صلى الله عليه وسلم وعامله بأنه الصادق الأمين، يتجلي ذلك في عدة أمور منها:

- السيدة خديجة لم تجد ما تهدئ به روعه بعد نزول الوحي عليه في الغار بعد أن ذكرت له محامد الخصال وكان منها: (وتصدق الحديث).

- قريش أعلنت أنه صادق حينما جمعهم ليصدع له بالدعوة قالوا: ما جربنا عليك كذباً قط.

- لم يجرؤ أحد أن يصفه بالكذب وكانوا يقولون له ما أنت فينا بمكذب ولكن نكذب ما جئت به.

- لما سأل هرقل إمبراطور الروم أبا سفيان في ركب من قريش بعد صلح الحديبية (هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال) ؟ قال: لا، وقال: ما كان ليدع الكذب علي الناس ويكذب علي رب الناس.

- (قصه الإفك): بعد أن اتهم في زوجه عائشة فقد كان من الممكن أن

ينسب إلى السماء عكس ذلك لتبرئه زوجه.

- كثيراً ما كنت تعرض مشكلة ولم يكن عنده الحل فينتظر الوحي من السماء كمشكلة (الظهار).

ثالثا: الصدق منهج تربوي إسلامي:

يحيا الناس حياة طيبة وتعلوا الهمم والنفوس وتسير الحياة علي منهج الله رب العالمين بالصدق، وللصدق مظاهر عدة منها:

1 – في صدق الحديث:

فالمسلم إذا حدث فلا يحدث بالحق، وإذا تكلم لا يتكلم إلا صدقاً، قال صلى الله عليه وسلم :**{آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان}**، وقال أيضا:**{أنا زعيم - أي كفيل - ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا}**.

2 – صدق المعاملة:

إذا عامل أحدا صدقه في معاملته فلا يغش ولا يخدع ولا يزور ولا يغرر بحال من الأحوال.

3 – صدق العزم:

فالمسلم إذا عزم علي فعل ما ينبغي فعله لا يتردد في ذلك بل يمض في عمله غير ملتفت إلى شئ أو مبال بآخر حتى ينجز عمله.

4 – صدق الحال:

فالمسلم لا يظهر في غير مظهره ولا يظهر خلاف ما يبطنه فلا يلبس ثوب زور ولا يتكلف ما ليس فيه، وليس أدل علي ذلك من صدق الإمام البخاري في طلبه للحديث و وضوؤه وصلاته ركعتين لكل

حديث.

5 – الصدق في تربية الأولاد:

فالنبي صلى الله عليه وسلم يلفت أنظار الآباء والأمهات إلى غرس فضيلة الصدق في نفوس أزواجهم إذا ما نادي أحدهم علي ابنه كي يعطيه شيئا ولم يعطه فقال:**{أما إنك لو لم تعطه شيئا لكتبت عليك كذبة}** كما روي ذلك أبو داود في سننه.

6 – الصدق في العبادة:

كن مخلصاً في عبادتك لله وإذا ما جلست في المسجد فاستغفر الله ولا تتكلم بغير ذكر الله فأنت في صلاة ما انتظرت الصلاة.

رابعاً: حثه صلى الله عليه وسلم علي الصدق:

روي مسلم في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قال:**{إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا}**، وقد أخبر أيضا فقال:**{كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب}** وسئل صلى الله عليه وسلم : أيكون المؤمن جبانا؟ قال:**{نعم}**، أيكون بخيلاً؟ قال:**{نعم}**، قيل أيكون المؤمن كذاباً؟ قال:**{لا}** ثم قرأ قول الله تعالى:{ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾} [النحل: ١٠٥].

خامساً: للصدق ثمرات طيبة منها:

* راحة الضمير وطمأنينة النفس لقوله صلى الله عليه وسلم :**{الصدق**

طمأنينة} رواه الترمذي.

* البركة في الكسب وزيادة الخير لقوله صلى الله عليه وسلم :{البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا محقت بركة بيعهما}.

* الفوز بمنزلة الشهداء لقوله صلى الله عليه وسلم :{من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات علي فراشه}.

* النجاة من المكروه لقوله صلى الله عليه وسلم :{الصدق منجاة}، ولقوله:{عليكم بالصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة}، ولم يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في الكذب إلا في ثلاث كما في الصحيحين من حديث أم كلثوم: لم أسمعه يرخص في شيء إلا في ثلاث (الحرب، الإصلاح بين الناس، حديث الرجل امرأته وحديث المرء زوجها) قيل: لأن الجيش حصن الأمة، والشقاق رأس المعصية، والنزاع بين الزوجين يعرض الأسرة للضياع وهي أساس المجتمع.

* * *

شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وأثرها في حياة الفرد والمجتمع

ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثال في الشجاعة والإقدام حيث مصادر الشجاعة عند النبي صلى الله عليه وسلم تتمثل في وراثته، فطرته، تربية الله له.

قال الله تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ} [التوبة: ١١١].

وقال أيضا:{ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾} [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

ومظاهر الشجاعة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم متعددة ومتنوعة تجمعها شجاعة الرأي وشجاعة الحرب.

شجاعة الرأي: لقد قضي النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حياته ساخطاً علي ما يرأي من فساد العقيدة وضلال العقول، وعمي القلوب، وفساد الأخلاق، وهناك من قد عاصره في هذا الأمر ألا وهم (الحنفاء) لكن سخطهم لم يكن مثل سخطه وتشوفهم للعقيدة الصحيحة لم يكن مثل تشوفه صلى الله عليه وسلم.

مواقف:

موقف قريش من دعوته صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام:

لقد ضاقت قريش ضيقاً شديداً بعد أن عاب النبي صلى الله عليه وسلم في آلهتهم وسفه من أحلامهم فذهبوا إلى عمهم أبي طالب وهنا يقف النبي صلى الله عليه وسلم أمام عمه ويجيب بثبات مما يجعل أبو طالب يقول لقريش والله لا أسلمه إليكم أبداً حقا:{..وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ} (البخاري).

* عرض عتبة بن ربيعة علي قريش بعد إسلام حمزة أن يعرض علي النبي صلى الله عليه وسلم عدة أمور منها المال والشرف والملك والعلاج إن كان مريضا فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم بسورة فصلت إلى أن بلغ آية السجدة وعتبة منصت وقد ألقي يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه ثم رجع عتبة إلى قومه بوجه غير الذي ذهب به ثم قال عتبة إن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر علي العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به بعد أن بين لكم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بساحر ولا بكاهن.

الشجاعة في الحرب:

ظهرت شجاعته صلى الله عليه وسلم منذ مطلع شبابه في الرابعة عشرة من عمره هاجت حرب الفجار وسميت بذلك لأنها كانت في الشهر الحرام ففجروا فيها جميعاً وحدث النبي صلى الله عليه وسلم عنها بقوله:{كنت أنبل علي أعمامي} أي: أرد عليهم نبل عدوهم كي يضربوا العدو ثانية.

* في غزوة أحد حارب النبي صلى الله عليه وسلم وأبلي بلاء حسنا قال المقداد كما عند البيهقي فوالذي بعثه بالحق ما زلت قدمه شبراً

واحداً وإنه لفي وجه العدو وهو قائم عن قوسه ويرمي بالحجر وفي هذه الموقعة كسرت رباعيته وشج فمه وسال الدم من وجهه صلى الله عليه وسلم، وقد أخبر علي بن أبي طالب أنه كان إذا حمي البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب منه إلى العدو.

قال البراء كان الشجاع منا هو الذي يقترب منه في الحرب لشدة قربه من العدو.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:**{إن في الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض}**، وقال أيضا:**{المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف}**، وقال أيضا:**{من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله}**، وقال أيضا:**{لغدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها}** وقال أيضا:**{أفضل الجهاد كلمه حق عند سلطان جائر}**.

الغاية من شجاعته صلى الله عليه وسلم منها:

1- إعلاء كلمه الله فهو الهدف الرئيسي من بعثه الأنبياء.

2- الدفاع عن التوحيد الخالص لأنه إذا اختلط بالرياء رد علي صاحبه

3- حماية الإسلام من عدوان المشركين فالمسلم مطالب بأن يدفع العدوان عن نفسه.

4- محاربة مكاسب الأخلاق لقوله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

5- الدفاع عن الحقوق التي صانتها الشريعة حيث إن الإسلام دين حقوق يعطي للإنسان ما له ويطلب منه ما عليه.

* * *

عدل النبي صلى الله عليه وسلم وأثره في بناء المجتمع المسلم

العدل صفة من الصفات التي وصف بها رب العزة بأنه منزه عن الظلم، قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾} [يونس: ٤٤].

ولذا جاء في بعض الآثار: بالعدل قامت السماوات والأرض - أي بالعدل والإنصاف والمساواة بين الناس في كل ما تجد فيه المساواة، ينتظم هذا الكون، ويسعد الناس في تبادل المنافع التي أحلها الله تعالى فيما بينهم.

مفهوم العدل:

العدل معناه الإنصاف وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه وهو من أجل الأخلاق التي تحلي بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعدل في جميع أحواله قال الله تعالى:{فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾}
[الشورى: ١٥].

العدل في شخص النبي صلى الله عليه وسلم :

فقد امتاز النبي صلى الله عليه وسلم في شبابه بالعدل واشترك في (حلف الفضول) وسمي بذلك لأنهم تعاهدوا علي أن يردوا الفضول علي أهلها وعلي ألا يجدوا بمكة مظلوماً إلا نصروه وكان هذا الحلف قبل البعثة بعشرين سنة والقبائل هم من بني هاشم والمطلب

وأسد زهره ومرة.

بعد غزوة حنين:

أخذ الناس يقولون: يا رسول الله أقم علينا فيأنا من الإبل والغنم، حتى ألجأوه إلى شجرة فاختطفت رداءه فقال:{ردوا علي ردائي أيها الناس، فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعم لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا}.

موقف:

وجد من خيار أصحابه قتيلا بين اليهود هو عبد الله بن سهم الأنصاري فلم يجر علي اليهود في تقدير الدية وطلب مائة من الإبل كما كان العرب يفعلون.

* شكت إليه فاطمة ابنته مشاق أعمالها في منزلها فأمرها بالتسبيح والتحميد عوضا عما طلبته من خادم وقال:{لا أعطيك وأهل الصُّفة تطوي بطونهم جوعا}.

حثه صلى الله عليه وسلم على العدل والمساواة:

قال صلى الله عليه وسلم :{لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان}.

وقال أيضا:{ثلاث منجيات العدل في الغضب والرضا، وخشيه الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغني}.

وقال أيضا:{المسلم أخو المسلم لا يظلم ولا يسلم ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته}.

مظاهر العدل تتجلى في عدة أمور:

* العدل مع الله بألا تشرك مع الله أحدا وأنه قدير السماوات والأرض، والعدل مع الله أن يطاع فلا يعصي، ويذكر فلا ينسي،

ويشرك فلا يكفر.

قال الله تعالى:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾} [الإخلاص: ١].

* العدل في الحكم بين الناس دون الجور علي أحد وإن كان بينك وبينه عداوة. قال الله تعالى:{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} [المائدة: ٨].

* العدل في الأحكام قال تعالى:{وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ} [النساء: ٥٨].

* العدل بين الزوجات فلا يفضل واحدة علي أخري قال صلى الله عليه وسلم : **{من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل}**.

* العدل بين الأولاد والإحسان إليهم، قال صلى الله عليه وسلم :**{اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم}**.

العدل في القول فلا يشهد علي زور قال الله تعالى:{مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾} [ق: ١٨].

أثر العدل في حياة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم :

أرسل (قيصر) رجلا من عنده يتفقد أحوال عمر بن الخطاب ورعيته فسأل عن ملكهم فقالوا: ليس لنا ملك لنا أمير فقال: أين هو؟ قالوا: تحت هذه الشجرة وما أن رأي عمر وهو ينام تحت الشجرة إلا وقال ذاك الرجل رجل الملوك تهابه ولا يقر لهم قرار من هيبته. نعم. لقد حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر.

موقف آخر:

* ما حدث بين ابن عمرو بن العاص ورجل من مصر سبق هذا الرجل فضربه بسوطه إلى أن وصل الأمر إلى عمر بن الخطاب فقال كلمته المشهورة: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا). ورحم الله القائل: إن الله تعالى يقيم الدولة الكافرة مع العدل ولا يقيم الدولة المسلمة مع الظلم.

* * *

كرم النبي صلى الله عليه وسلم وأثره في حياة الأمة

الإسلام دين يقوم علي البذل والإنفاق، وينهي عن الشح والإمساك، لذا تخلق النبي الكريم بالكرم والجود والصفاء والإنفاق والعطاء.

مفهوم الكرم:

الإنفاق عن الرضا فيما يعظم نفعه أو بذل المال في سبيل من سبل الخير والبر، وقد استقامت فطرته صلى الله عليه وسلم وتربيته الإلهية وتوجيه القرآن له علي الكرم.

حث القرآن علي الإنفاق والكرم:

قال الله تعالى:{مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾} [البقرة: ٢٤٥]، **مما جعل** أبو الدحداح يقول أقرضت ربي حائطي، قال الله تعالى:{فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرًا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾} [التغابن: ١٦]، إلى غير ذلك من آيات القرآن.

كرمه صلى الله عليه وسلم :

لم ينفر العرب في الجاهلية والإسلام كنفورهم من الجبن والبخل ولكن كرم النبي صلى الله عليه وسلم كان له لون أخر فقد كان في سبيل الله وابتغاء مرضاته، كان علي من عجز عن الكسب، كان علي المرضي، كان علي اليتامى والأيامى، كان إيثارا علي نفسه، وهو في أشد الحاجة إليه.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (ما شبع رسول الله صلى الله عليه

وسلم ثلاث أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكن كنا نؤثر علي أنفسنا).

وصفه علي بن أبي طالب بقوله كان أجود الناس كافة، وسئل صلى الله عليه وسلم أي الإسلام خير؟ أي خصال الإسلام خير فقال له:{أن تطعم الطعام وتقرأ السلام علي من عرفت ومن لم تعرف}.

وفي صحيح مسلم:{ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا}، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم علي صناعة المعروف في أهله وفي غير أهله:{اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلي من ليس من أهله، فإن أصبت أهله فقد أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله}.

أمثلة في الكرم والجود والعطاء:

بعث معاوية إلى أم المؤمنين عائشة مبلغ 180 ألف درهم فطلبت طبقا فوضعت فيه هذا المال فقسمته علي مستحقيه ولما جاء وقت الإفطار بعد طول صيام قدم إليها زيتا وخبزا فقالت لها الجارية ألم تدخري لنا دينارا نشتري بها لحما فقالت عائشة: لو ذكرتيني لفعلت.

موقف آخر:

مرض الشافعي مرضه الأخير وهو مرض الموت وقد أوصي أن يغسله فلان فجئ به فقال أين وصيته فقيل هاهي فإذا مكتوب فيها أن الشافعي مديون بسبعين ألف درهم فما كان من هذا الرجل إلا أن قام بسدادها وقال هذا غسلي إياه.

موقف الخليل إبراهيم مع ضيوفه:

* حينما جاءه بعض النفر فقام مسرعا وجهز لهم طعاما إلا أن أيديهم

لم تمتد إلى الطعام فأوجس في نفسه خيفة حتى علم أنهم رسل الله.

التحذير من البخل والشح:

أصبح الكرم والجود غريبا في دنيا الناس وإن شئت فقل في دنيا البخلاء، كم يكلفك الأمر إذا بخل عليك ضيف، لقمة من الطعام أو كوبا من الشاي مع أن الله حذرنا من أن يلعب الشيطان بنا فقال تبارك وتعالى: { ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ } [البقرة: ٢٦٨].

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الشح فقال:{**إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم**}. ولنعلم أنه لن تنجح أمة في هذا المضمار إلا إذا وثقت الصلات بين أبنائها فلم تبق محروما يقاسي ويلات الفقر، ولم تبق غنيا يحتكر مباهج الغني.

* * *

عفة النبي صلى الله عليه وسلم وأثرها في عزة المجتمع المسلم

حينما يكون العبد المسلم عفيفا فإن هذه العفة تؤدي به إلى محمود الصفات وإلي مكارم الأخلاق، فالعفة موصولة بغيرها بكثير الأخلاق.

مفهوم العفة:

هي فضيلة تقي الإنسان من أن يرتكب بيده أو بلسانه أو بشهوته ما لا يحل له وربما تمنعه من الحلال، وقد وردت كلمه العفة ومشتقاتها في كتاب الله دالة علي هذه الأنواع:

1- العفة عن نزاهة النفس وأمانة اليد، قال تعالى:{وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ} [النساء: ٦].

2- عدم طلب الطعام أو المال مع شدة الفقر والحاجة وكلاهما يكون باللسان، قال تعالى:{ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾} [البقرة: ٢٧٣].

3- الشهوة.. تحدث القرآن عن العفة عند وجود الشهوة ودعا إلى حفظ الفروج عن الحرام.

قال تعالى:{وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ

ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾} [النور: ٣٣].

فهنا أمر بالاجتهاد في طلب العفة والحرص عليها للذين لا يستطيعون الزواج لعجزهم علي الإنفاق.

مظاهر العفة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم :

بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أعلي الدرجات في جميع دروب العفة بأنواعها منها:

عفته في أمانة اليد وعزة النفس فقد جاءته صلى الله عليه وسلم دنانير فقسمها علي الناس وبقيت منها ستة أودعها عند بعض نسائه، ولكنه أرق ليلته فلم يستطع أن ينام حتى قام فقسمها وقال: الآن استرحت، وهو القائل صلى الله عليه وسلم : {**ما يسرني أن لي أُحداً ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا دينار أرصده لديني**}.

عفته في لسانه:

كان صلى الله عليه وسلم عفيف اللسان حتى في أشد حالات الخصام.

موقف:

فإنه بعد فتح مكة توجه إلى الطائف ومعه أبو بكر وابنا سعيد بن العاص، فمر أبو بكر بقبر فقال: لمن هذا القبر؟ قالوا قبر سعيد بن العاص. وقال أبو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فإنه كان يحارب الله ورسوله فغضب ابنه عمرو بن سعيد، وقال يارسول الله، هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام أي - للرؤوس – وقال: أبو بكر يكلمني يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم

:{اكفف عن أبي بكر يا عمرو}. فانصرف عمرو ثم أقبل النبي صلى الله عليه وسلم علي أبي بكر فقال:{يا أبا بكر إذا ذكرتم الكفار فعمموا فإنكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء} فكف المسلمون عن ذلك.

عفته عن الفاحشة:

فإنها من البديهيات التي لا تحتاج إلى تفصيل وقد عصم الله نبيه من الفاحشة منذ طفولته، فلم يزن قط، ولم يهم بفاحشة قط، حتى إن يده لم تمس يد امرأة قط إلا إذا كانت زوجة أو محرما أو ملك يمين.

حثه صلى الله عليه وسلم علي العفة:

حرص النبي صلى الله عليه وسلم علي تكوين المجتمع الفاضل فأمر المسلمين بالعفة في كثير من أحاديثه منها:

قال صلى الله عليه وسلم :{ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غني النفس} وقال أيضا:{اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بمقادير} وقال أيضا:{عليكم بالقناعة فإن القناعة مالاً لا ينفد}.

الموقف بلغة العصر:

العفة فيها الطهارة والنقاء والشفافية، والإسلام يقرن بين مطالب الجسم والنفس في تعاليمه ويكف طغيان أحدهما علي الآخر ولا بد وأن نذكر أن حياة المؤمن المصدق بالدار الآخرة ليست كحياة الكافر الذي يؤدي عمره فوق ظهر الأرض علي أنها دنياه وأخرته معا، إن المؤمن يقسم آماله ورغائبه علي معاشه ومعاده ويطلب الخير لنفسه في يومه وغده، فالإنسان حينما يكون عفيفا بيده ولسانه وشهواته يتبوأ أعلي الدرجات في جنات عرضها الأرض والسماوات.

* * *

أمانة النبي صلى الله عليه وسلم وأثرها في ترابط المجتمع المسلم

الإسلام يرقب من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ، تصان به حقوق الله وحقوق الإنسان وتحرس به الأعمال من دواعي التفريط والإهمال ومن ثم.. أوجب علي المسلم أن يكون أميناً.

أولاً: معني الأمانة:

الأمانة رمز واسع الدلالة، وهي ترمز إلى معانٍ شتي مناطها جميع شعور المرء في كل أمر يوكل إليه وإدراكه الجازم لأنه مسئول عنها أمام ربه.

فالأمانة لها معنيان:

معني خاص.. وهو ما يفهمه العوام من رد الودائع إلى أهلها.

معني عام.. فيشتمل علي أكثر من ذلك من كتمان السر وإخلاص المشورة إلى المستشير، وتبليغ الرسالة إلى شخص بعيد.

الأمانة في القرآن:

حث القرآن الكريم علي الأمانة في كثير من مواضعه فقال:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا} [النساء: ٥٨]، وقال أيضا:{فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ} [البقرة: ٢٨٣]، وذكر في الناجين من عذاب جهنم:{ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾} [المؤمنون: ٨].

وقال في قصه موسى مع ابنتي شعيب:{إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ

ٱلْأَمِينُ} [القصص: ٢٦]، وقال أيضا:{ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾} [الأحزاب: ٧٢].

مظاهر الأمانة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم :

كان من دعائه صلى الله عليه وسلم :{... **وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**}، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة الأولي يلقب بالأمين.

موقف:

حينما حدث خلاف بين العرب بعد إعادة بنائهم للكعبة واختلفوا فيما يضع الحجر الأسود مكانه إلى أن ارتضوا أول الداخلين عليهم حكما وكان هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا هذا هو الصادق الأمين رضينا بحكمه (وكان ذلك قبل مبعثه).

موقف آخر:

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله فقال له اجلس سيرزقك الله ثم جاء ثان ثم ثالث فقال لهم اجلسوا، فجاء رابع بأربع أواق وقال يا رسول الله إن هذه صدقة فدعا رسول الله كل واحد منهم علي حدة، ثم أعطاه أوقية وبقيت واحدة فلما كان الليل وضعها تحت رأسيه، وجعل لا يأخذه النوم ثم تتساءل عائشة عن السبب فأخرج أوقية وقال:{**هذه هي التي فعلت بي ما ترين إني خشيت أن يحدث أمر من الله ولم أمضها**}.

يقول جابر بن عبد الله أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد ضحي فقال صلي ركعتين، وكان لي عليه دين فقضاني

وزادني.

أثر أمانة النبي صلى الله عليه وسلم في حياة أصحابه:

استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابن اللتبية) علي الصدقة فجاءه العامل حين فرغ من عمله فقال يا رسول الله هذا لكم وهذا أهدى إليَّ فقال له:{**أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فنظرت أيهدي إليك أم لا**}. ثم خطب النبي صلى الله عليه وسلم في عشية هذا اليوم... :{**فوالذي نفس محمد بيده لا يغل أحدكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، إن كان بعيرا جاء له رغاء وإن كانت بقرة جاء بها خوار، وإن كانت شاه جاءت تبعر**}.

موقف:

بعث عبد الله بن رواحه إلى خيبر ليخرص ما علي نخلها من تمر فجمع له اليهود حلي من حلي نسائهم علي أن يتساهل في التقدير فقال عبد الله: يا معشر يهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلى ولكن ذلك لا يحملني علي أن أحيف عليكم - فأما ما عرضتم علي من الرشوة فإنها سحت، وإننا لا نأكلها. فقالوا بهذا قامت السماوات والأرض.

- وتتمثل الأمانة في قمتها حينما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة فقد طلب من علي بن أبي طالب علي أن ينام في فراشه علي أن يرد الودائع إلى أهلها.

من صور الأمانة:

* أمانة البيع والشراء لقوله صلى الله عليه وسلم :{**من غشنا فليس منا**}.

* أمانة التجارة لقوله صلى الله عليه وسلم :{إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذ حدثوا لم يكذبوا وإذا ائتمنوا لم يخونوا وإذا وعدوا لم يخلفوا}.

* أمانة الحياة الزوجية لقوله صلى الله عليه وسلم :{إن شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى زوجته والزوجة تفضي- إلى زوجها ثم ينشر سرها}.

* أمانة المناصب لقوله صلى الله عليه وسلم :{من استعملناه علي عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول لأنه اختلاس من مال الجماعة}.

* أمانة الأعضاء لقول الله تبارك وتعالي:{إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا } [الإسراء: ٣٦].

* أمانة الوضوء، الصلاة، الوزن، الكيل وكلها أمانات.

* أمانة الكلمة لقوله صلى الله عليه وسلم :{... ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم}.

فالأمانة حث عليها النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من أحاديثه.

وقال:{أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك}.

وقال:{لا إيمان لمن لا أمانة له}.

وقال:{من أخذ أموال الناس يريد أداءها أد الله عنه...}.

وقال:{لم تزال أمتي علي الفطرة ما لم يتخذوا الأمانة مغنما والزكاة مغرما}.

وبالجملة نقول: فإن الأمانة فضيلة ضخمة لا يستطيع حملها الرجال المهازيل فضرب المثل بها فقال:{ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } [الأحزاب: ٧٢].

* * *

صـبر النبي صلى الله عليه وسلم وتحمله لمشاق الدعوة

إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وكثرت الضوائق وطال ليلها فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور من الوقوع في التخبط، و الهداية الواقية من القنوط وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم كما روي الإمام مسلم:{الصبر ضياء}.

معني الصبر:

الصبر لغة هو الحبس والمنع، فهو حبس اللسان عن الشكوى وحبس النفس عن الجزع وحبس الجوارح عن المعاصي.

اصطلاحا.. هو حبس النفس علي ما يقتضيه العقل والشرع.

أقسام الصبر:

ينقسم الصبر إلى ثلاث أقسام:

- صبر علي المأمور.
- صبر عن المحظور.
- صبر علي المقدور.

أولا: الصبر علي المأمور:

وهو الصبر علي الطاعة وهو أعلي درجات الصبر، والصبر علي الطاعة أساسه أن أركان الإسلام اللازمة تحتاج في القيام بها و المداومة عليها إلى تحمل ومعاناة.

فالصلاة مثلا فريضة متكررة ويقول الله فيها:{وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ } [طه: ١٣٢].

الصبر علي المأمور يشتمل علي جهاد الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا عليه الصلاة والسلام ومدي تحملهم لمشاق الدعوة والرسالة وقد قضي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وعشرين سنة يدعو إلى التوحيد الخالص دعوة قوية لا يخفق صوتها.

قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾} [المائدة: ٦٧]، صبر علي جراح الألسنة والكلمات التي كانت أشد من السهام كل ذلك من أجل إعلاء كلمة التوحيد فوصفوه بالسفه والشعر والسحر والجنون والكهانة.

مظاهر الصبر في شخص النبي صلى الله عليه وسلم :

تحمل الكثير والكثير من المهانة والإيذاء من أجل إعلاء كلمة الله تبارك وتعالي.

موقف: قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمدًا قد أتي ما ترون من عيب آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم وإني أعاهد الله لأجلس له غد بحجر فإذا سجد في صلاته شدخت به رأسه، فأسلموني عن ذلك أو امنعوني، فلما أصبح حمل حجرا وجلس ينتظر رسول الله، وأقبل الرسول إلى صلاته، وقريش في ناديهم ينتظرون ما يفعل أبو جهل فلما سجد الرسول صلى الله عليه وسلم أقبل أبو جهل نحوه بالحجر حتى إذا دنا منه ارتد مذعورا ممتقع اللون وألقي الحجر من يديه، وقام إليه رجال من النادي يسألونه: ما بك يا أبا الحكم؟! قال: دنوت منه لأرضخ رأسه بالحجر فعرض لي فحل من الإبل ما رأيت مثله قط هم بي ليأكلني وصدق الله حيث قال:{وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ

ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ } [المائدة: ٦٧].

* قال ابن مسعود كنا مع رسول الله بمسجد وهو يصلي، فقال أبو جهل: ألا رجل يقوم إلى فرث جزور بني فلان فيلقي علي محمد وهو ساجد فقام عقبة بن أبي معيط وجاء بذلك الفرث فألقاه علي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ولم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد علي حماية النبي صلى الله عليه وسلم أو علي رمي القذر بعيدًا عنه؛ لأنهم كانوا حينئذٍ ضعافا ولم يزل الرسول صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى جاءت فاطمة ابنته فرمت القذر بعيدا عنه، ولك أن تتخيل لو أصابك أي غبار أو أي شيء وأنت تصلي في المسجد الآن فماذا تفعل؟!!

لم تنل قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم نيلاً شديدًا إلا بعد وفاة خديجة وعمه فسلطت عليه سفيها فحثي التراب علي رأسه صلى الله عليه وسلم وإذ بابنته تغسل التراب عن رأسه وتبكي فيقول لها النبي صلى الله عليه وسلم :{لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك}.

حثه صلى الله عليه وسلم علي الصبر:

قال صلى الله عليه وسلم :{أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل}.

وقال:{وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر}.

وقال:{اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون}.

وقال:{الصبر ضياء}.

وقال:{اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقله حيلتي، وهواني علي الناس}.

الصبر عن المحظور

بعد الحديث عن الصبر على المأمور نقول: أن هناك صبرًا عن المحظور أي الصبر عن المعصية وهو صبر المحبين لرب العالمين يقول النبي صلى الله عليه وسلم : {حفت الجنة بالمكارة وحفت النار بالشهوات}، فطريق الجنة فيه عقبات وأشياء كثيرة تثقل علي النفس أن تتحلى بها بأن يفعل ما أمر العبد به وأن يجتنب ما نهي عنه، أما طريق النار فكله شهوات تستوفي ذلك الحلال والحرام طالما أن العبد لا يخاف مراقبة الله له ولم يجعل من نفسه رقيبا على نفسه، لذا كان الخوف من وعيد الله وعقابه جد مفيد في حمل المرء علي الصبر عن المعاصي والبعد عنها.

قال الله تبارك وتعالي:{ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ } [إبراهيم: ١٤]، وقال أيضا:{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ } [ق: ٤٥]،{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾} [المدثر: ٥].

وقد ذكر الله من أوصاف المتقين في كتابه أنهم ربما يقعون في الفاحشة لكن الفارق بين التقي والشقي إن زل في المعصية ذكر الرب العلي فاستغفر الله جل وعلا.

قال تعالى:{وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } [آل عمران: ١٣٣]، وقد جعل الله المعصية شؤم في الدنيا وسبب الهلاك في الآخرة قال تعالى:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾} [طه: ١٢٤].

قيل لحاتم الأصم: يا حاتم بما حققت التوكل علي الله؟ قال:

بأربعة أشياء:

علمت بأن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأنّ قلبي، علمت بأن عملي لا يتقنه غيري فاشتغلت به، علمت بأن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء الله، وعلمت بأن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني علي معصية (فالمعصية شؤم في الدنيا والآخرة).

ومن الصبر علي المحظور:

صبر الجوارح عن فعل المعاصي وعدم الإتلاف لها (اللسان - اليد - الرجل - العين الأذن - الشهوة).

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :{**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس**}، ويقول الله تعالى:{إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا} [الإسراء: ٣٦]، ويقول الله تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].

في معرض الأمثال:

قيل: إن الله يوم القيامة يحتج بأربعة أنبياء علي أربعة أجناس:

علي الأغنياء بسليمان... فبالرغم من غناه وملكه إلا أنه لم يقصر في عبادته لله فهو (صبر علي المأمور).

علي الفقراء بعيسي عليه السلام فبالرغم من فقره لم يقترف معصية من أجل لقمة العيش فهو (صبر عن المحظور).

علي العبيد بيوسف عليه السلام فحينما بيع يوسف عليه السلام في الأسواق إلا أنه ظل يوحد الله ولم يقصر في عبادته لله، ولقد صبر

يوسف صبرا شديدا مع امرأة العزيز علي المعصية وقد كان شابا وهو موضع القوة وقد كان عذبا وهو موضع الشهوة وقد كان غريبا ومن الممكن أن يفعل ما يشاء وقد كان مملوكا فلا لوم عليه وكانت امرأة العزيز ذات منصب مصدر قوة وسلطان وهى سيدته أي أمره بيدها وقد كانت جميلة فهي موضع إغراء وقد تحكمت فيها الشهوة لغياب الزوج والرقيب وقد عرضت نفسها عليه وهي الداعية له وتوعدته إن لم يفعل بالسجن أو الصغار وبالرغم من هذه الدواعي صبر ولم يفعل المعصية وقد تحدث القرآن عن طرف من هذه القصة بأدب جم فقال:{وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾} [يوسف: ٢٣].

علي المرض بأيوب فصبر واحتسب وعبد الله حق عبادته.

موقف مع الإمام الشافعي:

في يوم من الأيام كان الشافعي يمشي في الشارع فنادت عليه أمرآة يا إمام! أريد فتواك! فصعد السلم وما أن دخل علي المرأة حتى غلقت الأبواب وعرضت نفسها إليها فقال ما لهذا جئت؟ اللهم أني قد استعنت بتقواك فأين مخرجك؟!!! فجعل الله له مخرجا قال الله تعالى:{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾} [الطلاق: ٢ - ٣].

فهو صبر عن المعصية.

وحال الإنسان من عاش علي شيء مات عليه ومن مات علي شيء بعث عليه.

الصبر علي المقدور

إن حياة الناس مملوءة بالأزمات والويلات والفتن والبلاء علي اختلاف الأجناس والألوان وهؤلاء جميعهم في حاجة ماسة إلى الصبر وأن هذا نوع من البلاء أو الابتلاء، والصبر على المقدور أي علي ما قدره الله وقاه عليك من المحن والمصايب والبلايا وهذا صبر الصديقين قال الله تعالى:{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾} [القمر: ٤٩]، وهو من تمام الإيمان كما جاء في حديث جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم حينما سأله عن الإيمان.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :{ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي علي الأرض وما عليه من خطيئة} والصبر من أحب الأمور إلى الله تعالى فيقول الله تعالى:{وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } [آل عمران: ١٤٦]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :{عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خير له وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له ولا يكون ذلك إلا للمؤمن}.

والابتلاء بالشر هو مناط الصبر، والابتلاء بالخير هو مناط الشكر قال تعالى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :{ما من عبد مؤمن تصيبه مصيبة فقال كما أمر الله تعالى إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اؤجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها إلا فعل الله به ذلك}.

هل الشكوى تنافي الصبر!!؟؟

الشكوى نوعان: الشكوى من الله تنافي الصبر فكأنما تشكو الرحيم الذي لا يرحم.. يقول صلى الله عليه وسلم :{**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**}.

الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر:

- كما حدث من يعقوب وأيوب عليهما السلام.

قال تعالى:{قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾} [يوسف: ٨٦]، وقال تعالى:{وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾} [الأنبياء: ٨٣].

أيوب جبل الصبر:

ابتلي في أولاده وماله وبدنه فأقعده المرض في الفراش.

روي ابن حبان والحاكم في المستدرك من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم : {**إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه جميع الناس إلا رجلين كانا من خواص رجاله حتى قال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ذاك فقال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله**} فنادي ربه بأدب جم كما حكي القرآن:{وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾} [الأنبياء: ٨٣]، لم يقل هدني أو أهلكني أو ذبحني أو قتلني ولكن قلبه امتلأ بالحب ولم يفتر لحظه من هذه السنوات عن ذكر الله.

وكما في الصحيحين من حديث أبي هريرة، رد الله عليه أولاده بعدد

مضاعف، أمطر الله عليه جراد من ذهب، وجعل نبي الله يأخذ من الجراد ويضع في حجره وكرره مرارا فناداه ربه وقال:{يا أيوب أما تشبع؟ فقال أيوب: يا رب ومن يشبع من رحمتك!!}.

من أنواع الابتلاء والصبر عليه:

- الصبر علي المرض وعند اشتداد الحمى وسكرات الموت.

- الصبر علي فقدان الحبيب، كموت ولد كما مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم.

- الصبر عند فقد العزيز كقتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وأراد النبي أن يمثل بسبعين من المشركين فقال تعالى:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾} [النحل: ١٢٦ - ١٢٧].

- الصبر علي الفقر والجوع.. كان يمر الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار حتى إن السيدة عائشة كانت تخبر وتقول: إن طعامهما الأسودان (التمر والماء) حينما سألها عبد الله بن الزبير وقد جاء ملك الجبال إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له:{إن شئت لأجعل لك الجبل ذهبا؟ فقال:.. لا.. أجوع يوما وأشبع يوما}.

- الصبر علي فقدان البصر.. قال تعالى في حديثه القدسي:{إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه أي (عينيه) عوضته منهما الجنة}.

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي جماعة من صحابته فقال:{أمؤمنون أنتم؟} فسكتوا، فقال عمر: نعم يا رسول الله، قال:{وما

علامة إيمانكم؟} قالوا: نشكر على الرخاء، ونصبر على البلاء، ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم :{مؤمنون ورب الكعبة}.

ويتجلي الصبر في أروع أمثلته حينما مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فصبرت وأعدت الطعام لزوجها وعاشرها معاشرة الأزواج وأخبرت زوجها بأنه قد مات ابنه بأنه أمانة عنده فذهب أبو طلحة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي:{بارك الله لكما في ليلتكما} فحملت وولدت له غلاما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وعاش هذا الغلام حتى تزوج وكان له تسعه أولاد كلهم يحفظون القرآن الكريم ورحم الله من قال:{بالصبر واليقين تنال الإمامة والدين} وقال تعالى:{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾} [السجدة: ٢٤].

* * *

السماحة في المعاملات منهج إسلامي غير مسبوق

لما كانت السماحة خلقا إنسانيا رفيعا فقد حرصت الشريعة الإسلامية على الدعوة إليها لأنها تعود جميعها بالخير والسعادة والهناء على الفرد وعلى المجتمع، والسماحة في مضمونها تعني كلمه تدل علي الجود والتساهل وتكون في العقود كالبيع والشراء وكذلك تكون في المبادلات كالأخذ والإعطاء على وجه الصلة والبر كالهدية والوصية... وغيرها [1].

بين السماحة والجشع:

أولا: معلوم أن الأشياء تتميز بضدها فقيمة البياض ومعناه الجميل يكون أوضح ما يكون إذا رؤى السواد بجانبه كذلك نستطيع إدراك معنى السماحة والتساهل بوضوح ويسر عن مقارنتها بضدها من (الجشع والطمع) الذي لا هو بالقليل من الرزق يقنع، ولا بالكثير يشبع فمثله كالذي يشرب ولا يرتوى وكالذي يأكل ولا يشبع أن هذه الصفات الذميمة قد انتشرت فيها انتشارا كثيرا وأصبحت دنيا الناس خالية من التراحم والتعاطف والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر في الحديث في البخاري من حديث جابر:{**رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**}.

ورب العزة قد أخبر:{ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾} [الحديد: ١١]، أصبح هذا التعامل مستهجنًا وعزيزًا في دنيا الناس فالكل يريد أن يعيش حياته طولاً وعرضًا آخذًا لا معطيًا غالبًا

(1) من مقال للدكتور/ عبد الحكم الصعيدي.

غير مغلوب غير قانع بما قسمه الله له فشاع في دنيا الناس من جراء ذلك (الغلاء والبلاء والوباء والزلازل والفتن والمحن) لأن غيلان الطمع والجشع طغت على النفوس.

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم :**{لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى أن يكون لهما ثالث ولا يملأن عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب}**، إلا أن الإسلام له رأي آخر.

ثانيًا مظاهر السماحة في التعامل:

لقد وضع الإسلام الضوابط الأساسية والأخلاق الرحيمة بمختلف أنواع التعاملات التي يقوم بها الناس حيث لو اتبعوها لاستطاعوا إن يتخلصوا من كثير من المعوقات ومن هذه المظاهر:

1 - وجوب العلم بأحكام البيع والشراء:

فلابد من معرفة الناس أحكام البيع والشراء حتى تكون تلك التعاملات موافقة لشرع الله تعالى لكي تعود على أصحابها بخيري الدنيا والآخرة وذلك لأن التعاملات الآن في مجال التجارة تقوم على (الفهلوة - الشطارة).

وكل هذه المفاهيم لا تدل إلا على معنى واحد ألا وهو النصيب فقد أصبح التجار يعرفون كل شيء عن فنون التجارة ماعدا شيئا واحدا هو فقه المعاملات وقد كان الخلفاء الراشدون وغيرهم يؤكدون على ضرورة ذلك.

فقد روى أن الفاروق عمر رضى الله عنه كان يطوف بالسوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: (لا يبيع في سوقنا من لم يتفقه في ديننا وإلا أكل الربا شاء أم أبى).

وعند الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال:{**طلب الحلال واجب على كل مسلم**}.

2 – التحلي بالصفات الفاضلة:

فعلى المرء أن يكون حسن اللقاء، طلق الوجه، سهلاً، لين، لا يغالي في سلعته، ولا يبخس الناس أشياءهم ومن أجمل الصفة (الأمانة)، فينبغي أن يكون ناصحا لأخيه، غير غاش له أو مخادع وبها تنصلح أمور كثيرة.

3 – البعد عن الأساليب الملتوية في ترويج السلعة ومنها:

* **الغش**: وهي ظاهرة أخلاقية بغيضة تعانى منها المجتمعات عند ضعف الوازع الديني وعلي قدر غيابه علي قدر ما يكون الغش والتدليس.

الإيمان الكاذب وتلك آفة آخري يجب الإقلاع عنها وفيها ترويج للسلعة بالإيمان الكاذب بغرض الإخفاء من العيب أو طمعا في إعلاء سعرها وقد قال صلى الله عليه وسلم :{**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب**}.

* **التطفيف في الكيل**: فقد حرم الإسلام تطفيف الكيل وخسران الميزان والتلاعب بالمعايير التي تعارف عليها الناس في ضبط مقادير السلع.

قال الله تعالى:{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾} [المطففين: ١ - ٣].

مر النبي صلى الله عليه وسلم على رجل يزن بالأجر فقال له صلى

الله عليه وسلم :{**زن وأرجح**}.

* **البيع علي بيع أخيه**: وهذا أمر منهي عنه شرعا لأنه يورث العداوة ويفتح علي الناس أبوب الشر والمتاعب التي لا حصر لها والمقصود بهذا أي بعد إتمام الصفقة والإيجاب والقبول بين البائع والمشتري، أما ما كان علي سبيل (المزايدة) المزاد بين الناس فلا بأس به شريطه ألا تكون زيادة مفتعلة أو يقصد بها الأضرار بالغير أولا يكون ينوي الشراء أصلا.

قال صلى الله عليه وسلم :{**لا يبع أحدكم علي بيع أخيه**}.

* **الاحتكار**: وهو حبس السلعة ليقل المعروض منها فيرتفع السعر بين الناس (السوق السوداء) ولا سيما إذا ما كان في الغذاء والكساء والسلع المضروبة.

قال صلى الله عليه وسلم :{**من احتكر فهو خاطئ**}.

عند أحمد والحاكم وغيره قال صلى الله عليه وسلم :{**من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه**}.

معاملة ليس لها مثيل (إقالة النادم).

من الأمور التي حض الإسلام عليها ولا تكاد تجد مثيلها في معاملات أهل الأرض جميعا (إقالة النادم) من المبتاعين (البائع أو المشتري) وذلك بشرط قيام كل من العوضين (السلعة والثمن) وهي حسبه لله تعالى فمن باع سلعة ثم ظهرت حاجته إليها فله أن يطلب من صاحبه الإقالة وفسخ العقد قائلها (أقلني عثرتي أقال الله عثرتك).

وحكم الإقالة أنها فسخ لا بيع جديد.

وعن أبي داود عن بن ماجه من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال:{من أقال مسلما أقال الله عثرته}.

* * *

الوفاء من شيم الطائعين

إن الوفاء من صفات أصحاب العقول السليمة الراجحة المبرأة من الأهواء.

معني الوفاء:

الوفاء يعني القيام بما يجب من رعاية وأداء سواء أكان العهد معتمداً علي توثيق مكتوب أو علي وعد شريف، أو لم يكن متعاقداً عليه لأنه مما تلتزم به الفطرة السليمة والعقل الرشيد والوجدان الحي كالوفاء لصاحب الجميل.

وحسب الوفاء بالوعد تشريفاً أن الله تعالى يقول:{إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١} [التوبة: ١١١].

ولأن العهد مما يسأل الخلق عنه يوم القيامة:{ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤} [الإسراء: ٣٤].

مظاهر الوفاء:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما قال علي بن أبي طالب - أوفي الناس ذمة وقد عظم وفاؤه صلى الله عليه وسلم فشمل كل ضروب الوفاء.

النعم بالله:

قدر نعم الله حق قدرها فأجهد نفسه في القيام بشكرها، وقام الليل حتى تورمت قدماه، فسئل عن ذلك فقال:**{أفلا أكون عبدا شكوراً}**.

العهـد:

لم ينقض عهده ولم يغدر أبدا حتى إذا دعت الضرورة إلى ذلك كما حدث مع حذيفة بن اليمان: يقول: ما منعني أن أشهد غزوة بدر إلا أني خرجت أنا وأبو حسيل من مكة إلى المدينة مهاجرين، فأخذنا كفار قريش فقالوا إنكما تريدان محمدًا فقلنا: ما نريد إلا المدينة فخلوا سبيلنا بعد أن أخذوا منا عهد الله وميثاقه ألا نقاتل معهم فلما كانت الغزوة أردنا أن نشترك فيها فأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال:**{انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم}** (صحيح مسلم).

يتضـح لنـا: مدي وفاء النبي صلى الله عليه وسلم وتعليمه ذلك لأصحابه وإذا كان في وقت السلم فهو سهل فما بالكم إذا كان في وقت الحرب!! والنبي صلى الله عليه وسلم في أشد الحاجة إلى مقاتل واحد مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أنه عهد باطل لأنه قام علي الاضطرار وعلي التحايل للفرار.

موقف **أبي جندل بن سهيل**: ما حدث له في صلح الحديبية ومدي احترامه لعهده ومواثيقه، ما حدث مع أبي بصير بن عتبة بن أسيد حين فر إلي المدينة بعد عهد الحديبية وكان ممن حبستهم قريش في مكة فبعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب رده فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم :**{يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق إلى قومك}**، وقد حدث ما

توقعه النبي صلى الله عليه وسلم فإن أبا بصير قتل مرافقه القرشي وهرب إلى ساحل البحر ولحق به أبو جندل، ثم لحق بهما كل رجل أسلم من قريش، وهنالك اجتمعت عصبة وجعلوا يتعرضون لقوافل قريش المترددة بين الحجاز والشام ويقتلون رجالها فبعثت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله تعالى والرحمة أن يستقدم هؤلاء إليه فمن أتاه منهم فهو آمن، فأرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا إليه بالمدينة.

ج – الوفاء للوالدين:

* قالت أسماء بنت أبي بكر: قدمت علي أمي وهي مشركة حين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا عهد الحديبية وكان أبو بكر قد طلقها.

- الوفاء للزوجة: وفاؤه صلى الله عليه وسلم مع خديجة بعد موتها (وقول عائشة عنها وإذا أتي إليه بهدية قال:{**اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة خديجة**}، وقال:{**إن كرم العهد من الدين**}.

- الوفاء لقرابة الرضاعة: موقفه صلى الله عليه وسلم مع أمه حليمة وعطفه وقد وفدت عليه بعد غزوة حنين وأعطاها ما تشاء.

- موقفه صلى الله عليه وسلم مع أخته الشيماء وإكرامه لها.

وفاؤه مع الوطن: أحب مكة أعظم الحب فقال:{**والله إنك لأحب بلاد الله إلى نفسي لولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت**}.

وفاؤه لصاحب الجميل: موقف الصديق، موقف عمر، وقوله عن علي بن أبي طالب:{**علي إمام الدنيا والآخرة**}.

* * *

الشكر دائما وأبـدا

إن النفوس قد جبلت علي حب وصول الخير إليها أيا كان نوع هذا الشيء وبطبيعة الحال فإن من أعطي يحتاج أن يستمع إلى معسول كلام الناس أو الثناء عليه، بل وربما يكون قد استحوذ علي قلوب من أعطاهم وكما يقول القائل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلــوبهم ::: فطالما استعبد الإنســانَ إحســانُ

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:{**تهادوا عباد الله فإن الهدية تذهب وحر الصــدور**}، فـإن هنـاك معطـي وهنـاك آخـذ فـي عـرف النـاس وذلـك يستوجب الشكر فما بالك إذا كان كل نعمة تحيط بك هي من المعطـي والمنعم جل جلاله، فإن ذلك يستوجب منا الشكر علي الدوام.

مفهوم الشكر:

هو الثناء علي المنعم بما أولاك إياه من معروف وشكر العبد يدور علي ثلاثة أركان لا يكون شاكرًا إلا بجموعها:

الاعتراف بالنعمة باطناً فالشكر يتعلق بالقلب وهو للمعرفة والمحبة

التحدث بها ظاهراً أي باللسان للثناء والحمد.

الاستعانة بها علي طاعة الله لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن المعاصي.

وهكذا يكون الشكر مقروناً بهذه الثلاثة.

تقسيم الناس إلى قسمين:

- شاكراً.. فأحسن الأشياء إليه الشكر وأهله.
- كفوراً.. أبغض الأشياء إليه الكفر وأهله.

قال الله تعالى:{إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: ٣].

قال تعالى:{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: ٧].

فعلق سبحانه وتعالي المزيد بالشكر، والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره.

وقد وقف الله سبحانه كثيرا من الجزاء علي المشيئة.

قال في الغني:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾} [التوبة: ٢٨].

قال في المغفرة:{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾} [المائدة: ٤٠].

قال في التوبة:{ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾} [التوبة: ١٥].

وأطلق سبحانه جزاء الشكر إطلاقا حيث قال:{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾} [آل عمران: ١٤٥].

أهل الشكر مخصوصون بمنته:

فقد قرب الله سبحانه وتعالي الشكر بالإيمان وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا أو آمنوا به.

يقول الله تبارك وتعالي:{مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾} [النساء: ١٤٧].

وأخبر أيضا أنهم مخصوصون بمنته عليهم فيقول:{وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾} [الأنعام: ٥٣].

ولما عرف إبليس قدر الشكر جعل غايته في قطع الناس عنه، قال الله تبارك وتعالي:{ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾} [الأعراف: ١٧].

وصف سبحانه الشاكرين بأنهم قليل من العباد{ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾} [سبأ: ١٣].

الشكر في قول النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح:

ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قام حتى تفطرت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال:{**أفلا أكون عبداً شكوراً**}.

عند مسلم قال صلى الله عليه وسلم :{**إن الله ليرضي عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**}.

قال الحسن: أكثروا من ذكر هذه النعم فإن ذكرها شكر، وقد أمر الله نبيه أن يحدث بنعمه ربه فقال:{وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ١ - ١١].

فإن الله يحب أن يري أثر نعمته علي عبده فيذكرها.

كان أبو المغيرة إذا قيل له: كيف أصبحت يا محمد؟ قال:{أصبحنا مغرقين في النعم، عاجزين عن الشكر، يتحبب إلينا ربنا وهو غني عنَّا، ونتمقت إليه ونحن إليه محتاجون}.

قال يونس بن عبيد: جاء رجل لأبي تميمة فسأله: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله فلا يستطيع أن يعيرني بها أحد، ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها عملي.

الشكر هو: (ألا تستخدم بنعم الله في معصيته).

الشكر هو: (أن تشكر الله علي كل نعمة وشكرك على كل نعمة يعد نعمة أخري فهذا هو الشكر).

عن سفيان في قوله:{سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ } [الأعراف: ١٨٢]، يبغ عليهم النعم ويمنعهم من الشكر.

* شكر الجوارح: (العينين - الأذنين - اللسان - اليدين - الرجلين).

- والشكر لا يكون باللسان، وإنما قولا وعملاً، يقول تعالى: { يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾} [سبأ: ١٣].

ومن شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر.

كتب بعض العلماء إلى أخ له: أما بعد:

فقد أصبح بنا من نعم الله مالا نحصيه مع كثرة ما نعصيه فما ندري أيهما نشكر، أجميل ما يسر أم قبيح ما ستر؟!!

* * *

هل حققت العبودية لله؟

أولاً العبادة:

هي كل عمل أو قول أو نية يؤديه المسلم بقصد التقرب إلى الله علي جهة التذلل والخضوع لأن هذا الأمر لا يستعمل إلا الله.

كل عمل كالصلاة والصيام والزكاة والحج، وكل قول كقراءة القرآن تقصد به وجه الله، وكل نية ما تضمره في نفسك من فعل الخير حيث إن نية المرء خير من عمله وكما ورد في البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه:{إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى} ومصب ذلك كله الإخلاص لله رب العالمين على جهة التقرب والتذلل والطاعة وليس على جهة الكبر والاستعلاء والتفاخر بين الناس، كله يكون لله، الله الذي هو علم على الذات الإلهية والمستحق للعبادة وبخلاف لفظة إله التي تستعمل في إله الحق وإله الباطل وعماد ذلك ورد في فاتحة الكتاب الشافية الكافية بعد أن طالعتنا صدر السورة بالحمد والثناء على الله بما هو أهله وإنه قيوم السماوات والأرض في قسمها الأول المتعلق بالذات العلية، ثم تبدأ في قسمها الثاني المتعلق بالعبد فتقول:{إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾} [الفاتحة: ٥]، فالأول من معنى الألوهية والثاني من معنى الربوبية وجاء جماع ذلك في خاتمة سورة هود بقوله:{فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ} [هود: ١٢٣]، فجمعت الآية بين الاستعانة والعبادة والتوكل والمراقبة.

وعند الترمذي في سننه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{قال الله تعالى في الحديث القدسي: يا ابن أدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك} فالعبادة تجمع أمرين: غاية الحب وغاية الذل والخضوع.

ثانيا: الهدف من خلق الإنسان؟

كل شيء موجود في الحياة له هدف وله سبب وله منفعة وإن خفيت علينا بعض الشيء فالإنسان أحد مخلوقات الله فالخالق هو الله جل في علاه والهدف من خلقه هو عبادة الله كما أخبر ربنا في سورة الذاريات: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾} [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، ومنفعة الإنسان أن ينال رضى الله فيكن في أعلى درجات النعيم في جنة الخالدين مع:{ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا } [النساء: ٦٩].

وقد قال الله تعالى عن الخضر العبد الصالح:{ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾} [الكهف: ٦٥].

وقد وصف رب العزة نبيه ومصطفاه بمقام العبودية في عدة مواضع تدل على أن هذا الوصف هو منحة ربانية ينعم بها على عباده فجاء الوصف في سورة البقرة في مقام التحدى:{وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾} [البقرة: ٢٣]، وفي مقام الإسراء في صدرها حيث يقول ربنا:{سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ } [الإسراء: ١].

وفي مقام الدعوة حيث قال:{وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا

﴿١٩﴾} [الجن: ١٩].

هذا مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يختار أن يكون عبدا رسولا بدلا من أن يكون ملكا نبيا ورسولا وذلك لأن العبودية تشتمل على (القلب، اللسان، عمل القلب، أعمال الجوارح) والعبودية تشتمل على قسمين أولها عبودية عامه كما قال ربنا:{ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾} [مريم: ٩٣ - ٩٥]، ثانيا عبودية الطاعة والمحبة كما قال ربنا:{ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا } [الفرقان: ٦٣].

ولذلك أخبر الله في كتابه عن قلة عباده في شكر النعم جل في علاه حيث قال:{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ } [سبأ: ١٣]، وحينما وجدت السيدة عائشة رضى الله عنها نبينا صلى الله عليه وسلم يكثر العبادة فقالت يا رسول الله ألم يكن الله تبارك وتعالى قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال:{أفلا أكون عبدا شكورا} وجاء الأمر من الله تبارك وتعالى بدوام العبادة والثبات حتى الممات حيث خاطب ربه بقوله:{ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾} [الحجر: ٩٩].

ثالثًا: هل أنت عبد الله أم عبد لغيره ؟!

تنظر إلى كثير من الناس ترى ظاهرة أنه يتعبد لله إلا أنه في قرارة نفسه وحقيقة أمره عبد لأشياء كثيرة منها:

سلطانه، ونفوذه، أو زوجته، أو أولاده أو ماله وهذا هو الغالب الأعم، وبه عمّت البلوى، وتأتت الطامة الكبرى، حيث جاء التحذير من الله بقوله:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن

ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾} [المنافقون: ٩]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :{**تعس عبد الدرهم وتعس عبد الدينار**} ولاحظ جيدًا الدرهم آخره (هم) والدينار آخره (نار) والمال أي مال إلى إحدى جنبيه فهل أنت عبد المال؟ مع أن الله من أسمائه الحسنى (الرزاق، الغنى) وكما قال ربنا:{إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾} [التوبة: ١١١]، اشترى تدل على البيع والشراء من أن جميع المخلوقات ملك لله رب العالمين، وبالرغم من ذلك يشترى منهم، ويكافئهم عليها، وقد جاء الحث من الله على الإنفاق فقال:{وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: ٧]، فهل وجهت جزءاً من نفقاتك وأموالك لفعل الخير أم أنت عبد لـ...؟!

هل تصدقت بجزء من مالك لإقامة مسابقات قرآنية لكتاب الله أم أنت عبد لـ...؟

قال تعالى:{وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا} [الفرقان: ٣٠].

رابعًا: في معرض الأمثال:

أكتفي بذكر موقفين فيهما قيمة التضحية والجود بما عند الإنسان عن طيب نفس حتى يحقق معني العبودية لله ويرضي عنه ربه جل في علاه.

* **الأول**: حينما نزل قول الله تعالى:{مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ } [البقرة: ٢٤٥].

جاء أحد صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وهو (الدحداح بن ثابت بن أبي الدحداح) وقال: يا رسول الله هل يطلب الله منا القرض؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم :{أجل} فقال أبو الدحداح لقد أقرضت ربي حائطي وكان بستان فيه ستمائة نخلة، فذهب إلى البستان وقال: يا أم الدحداح اخرجي وأولادك لقد أقرضت ربي حائطي، وقد كان هناك تمرة في فم أحد أولاده فأخرجها من فيه (فمه) فقال النبي صلى الله عليه وسلم :{كم في الجنة من عذق رداح لأبي الدحداح} هنيئاً لك يا أبي الدحداح ولزوجك أم الدحداح.

ثانيا: روي أن رجلا من بني إسرائيل قال لموسى عليه السلام ادع الله أن يوسع علي في رزقي، فأوحي الله إلى موسى إني سأوسع عليه سنتين فأخبر موسى الرجل فاستشار الرجل زوجته وكانت صالحة فقالت له أري أن تنفق ما يرزقنا الله به في هاتين السنتين، حتى إذا مرت السنتان أرسل الله من ينفق علينا، فقال لها: نعم الرأي ثم فتحوا في دارهم أربعة أبواب وكتبوا عليها، هنا يطعم الجائع، هنا يسقي العطشان، هنا يكسى العريان، هنا يداوي المريض...

فمرت السنتان والخير في زيادة، حتى مر موسى كليم الله بعد سبع سنوات فتعجب من كثرة الخير فسأل موسى ربه فقال الله تعالى: يا موسى لقد فتحت علي عبدي باباً ففتح أربعة أبواب أفيكون العبد أكرم من سيده!!.

ونلاحظ أن القاسم المشترك في القصتين السابقتين هو موقف كل

زوجة مع زوجها فكانت عوناً وسنداً له بصلاحها، ومدي إجابة العبد لسيده وخالقه.

وختاماً:

سؤال يطرح نفسه: هل حققت العبودية لله، أم أنت عبد لـ..!!؟

انهض بنفسك وكن عبداً لله، فحق لك أن تفخر وتشرف بها.

قال الله تبارك وتعالي:{تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾} [مريم: ٦٣].

* * *

الخاتمـة

وبعد..

اعمل لنفسك ما تحب لغدك، فما قدمت لنفسك؟ فإن أحسنت فلك الحسنى، وإن كانت الأخرى فلا تلومن إلا نفسك وتبوأ لنفسك عظيم المنزلة عند الله تبارك وتعالي من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال وكما قال جل شأنه:{ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾} [الإسراء: ٨٤].

* * *

قائمة بأهم المراجع

* القرآن الكريم.

1- الإسلام والأمن الغذائي.. المجلس الأعلي للشئون الإسلامية.

2- البداية والنهاية في الخطب المنبرية.. المؤلف.

3- الترغيب والترهيب.. للحافظ المنذري.

4- الجامع لأحكام القرآن.. العلامة القرطبي.

5- العقيدة والأخلاق.. د. محمد سيد طنطاوي.

6- الفقه الواضح.. د. محمد بكر إسماعيل.

7- القول السديد في الوعظ الحميد.. يوسف عبد الغني كيوان.

8- القول المبين في تاريخ الكعبة ومسجد خاتم النبيين.. المؤلف.

9- المعجم الوجيز.. الفيروز آبادي.

10- الموطأ.. الإمام مالك بن أنس.

11- أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام.. الشيخ عطية صقر.

12- أقباس من قصص السنة.. د. عبد الحكم الصعيدي.

13- تفسير القرآن العظيم.. الحافظ ابن كثير.

14- تفسير الكشاف.. العلامة الزمخشري.

15- تفسير سورة الضحي.. د. أحمد محمد صيرة.

16- حقوق يجب أن تعرف.. الشيخ محمد حسان.

17- زاد المعاد في هدي خير العباد.. العلامة ابن القيم.
18- زاد علي الطريق.. د. محمد النقراشي.
19- سنن الترمذي.. الإمام الترمذي.
20- سنن ابن ماجه.. الامام ابن ماجه.
21- شرح صحيح مسلم.. العلامة النووي.
22- فتح الباري في شرح البخاري.. الحافظ ابن حجر العسقلاني.
23- في ظلال القرآن.. الشيخ سيد قطب.
24- قبسات إيمانية من حياه الصحابة والصالحين.. هشام محمد وروري.
25- قيم منسية.. د. محمود حمدي زقزوق.
26- لطائف المعارف.. ابن رجب الحنبلي.
27- مفاهيم دينية.. د. أحمد عمر هاشم.
28- ملامح من شخصية النبي صلى الله عليه وسلم.. د. فتحي السعدني.
29- من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.. د. محمد أحمد الحوفي.
30- نيل الأوطار.. الإمام الشوكاني.
31- وقفات إيمانية في المناسبات الدينية.. المؤلف.
32- وصايا الرسول.. طه العفيفي.
33- وصايا الرسول.. د. محمد بكر إسماعيل.

- مجلة الأزهر.
- مجلة التوحيد.
- مجلة المجاهد العسكرية.
- مجلة منبر الإسلام.
- مقالات إسلامية أخرى.

* * *

صدر للكاتب

- بحول الله وقوته -

أولاً: البداية والنهاية في الخطب المنبرية.

ثانيــاً: القول السديد في الوعظ الحميد.

ثالثــاً: القول المبين في تاريخ الكعبة ومسجد خاتم النبيين.

رابعــاً: وقفات إيمانية مع المناسبات الدينية.

خامساً: عمل الإنسان في ميزان الإسلام.

* * *

الفهـرس

* * *